

المسألة الثامنة عشرة خلق الأفعال بين الله والناس

خلق الأفعال ، أصولها وما يتولد منها :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي :

ان سالوك : أخلق الله الكفر والإيمان ؟ فقل : نعم خلقهما الله عملاً من العباد ، ولم يعملهما على وجه ما عملهما العباد ، العباد يزنون ويسرقون ، ولم يفعل الله ذلك ١٠٨ / على ما فعله العباد ، ولكن الله ، عز وجل ، خلق عملهم ، فخلق الطاعة والمعصية ، عملاً من العباد / وكذلك كل شئ صنعه العباد ، وعملوه ، فالله خالق عملهم ، عملاً منهم .

واعلم أنه ليس كلام تكلم به أهل القبلة من الجور ، أقرب إلى الزندقة من قولهم : إن الله لم يخلق أفعال العباد ، فهو إذا لم يُضحك ، ولم يُبكي ، ولم يجعل اختلاف الألسنة ، ولا خلق السراويل ؛ لأن خلق الألسنة لم يختلف ، وإنما اختلفت اللغات ، وإنما كتبت هذه المسألة ، لتعرف ما يدخل عليهم في هذا الكلام ، فاحسن اللفظ ولا تعجل .

واعلم أنهم إن قادوا كلامهم على هذا ، زعموا ، أن الله لم يخلق ثوباً ولا نهراً ولا ضحكاً ولا بكاءً ، ولم يسق الله عطشاناً ولم يطعم الله جائعاً ، ولم يجعل الله أكنناً من الجبال ، التي عملها العباد ، ولا قصرأ من السهل ، وأشبه هذا الذي عمله العباد ، ولم يخلق الله كفرةً ولا إيماناً ، ولم يجعل الله الإيمان غير الكفر ، ولا الكفر غير الإيمان ، ولم يحسن الله إيماناً ولم يقبح كفرةً ، هو أن ذلك كله عمله العباد وصنوعه وحسنه وقبحه ، ولم يحمل الله في ذلك ، ولم يجعله وأشبه هذا ، فهو أكثر من أن نصفه لك .

بين فعل المستقبل وفعل المشارك :

رد أحمد بن يحيى :

الجواب ، قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : قد صح لنا أنك من القوم

الذين قال الله ، جل ثناؤه ، فيهم : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١٠٤) ، وقد فهمنا ما ذكرت ، من فريتك على الله ، عز وجل عما قلت ، ومن أن الله خلق أفعال العباد ، فخلق الكفر والإيمان ، والطاعة والمعصية ، عملاً من العباد ، ولم يفعل ذلك ، زعمت ، على وجه ما فعله العباد ، فقد أجبناك على أشباه هذه المسألة ، في غير موضع .

ومن جوابنا لك ، أن المسألة القاطعة ، التي سألناك فيها عن أيهما أفضل : أفعل الله الذي ليس للعباد فيه اكتساب ولا فعل ، أم فعل الله الذي للعباد فيه اكتساب وفعل ؟ . . .

وتلك حجة لا قوام للمجبر بعدها أبداً ، ولا مخرج له منها ، وهي قبل كلامنا هذا ، فاستغنيينا بها عن إعادتها .

وأما قولك : إنه لم يتكلم أحد من أهل القبلة بجور ، أقرب إلى الزندقة ، من قولنا هذا : إن الله لم يخلق أفعال العباد .

ونحن نقول أن ليس قول أوسط في التعطيل والشرك ، والخروج من الإسلام جملة ، من قولكم : إن الله خلق أفعال العباد ، ثم غضب مما خلق ، وعدب على خلقه ، فإذا نظرت في المسألة التي فوق هذا الكلام ، من هذا الكتاب الذي شرحناها ، كان مثلك عندما نظرت إليها ، مثل الرجل الذي ذكروا أنه أشرف على نخل البحرين ، فلما رأى ١٠٩ / أو / كثرته / واتساعه وعظم شأنه ، قال امرأته طالق ، ما على وجه الأرض نخل هو أكثر من هذا النخل ، ثم سار أياماً حتى أشرف على نخل البصرة ، فلما نظر إليها ، وبان له كثرتها وعظيم شأنها ، وهول ما عاين منها ، وأنها أكثر وأجل من النخل الذي حلف عليه ، فلما خاف الحنث - زعم - في يمينه التي حلفها ، قال عند ذلك ، إن شاء الله !!

فهذا مثلك إذا نظرت في جوابنا في خلق الأفعال .

وأما قولك : إنه يلزمنا أن الله ، عز وجل ، لم يضحك ، ولم يُبكِ ، ولم يجعل اختلاف الألسنة ، ولا عمل السراييل !

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٤ ، كتبها الناسخ خطأ هكذا : ﴿ أولئك الذين . . .

حرية الفعل الإنساني :

فنحن نقول : إن الله ، جل ثناؤه ، خلق فينا الاستطاعة قبل الفعل ، وفوضنا في الحركات ، بعد الأمر والنهي ، وحكم الكتاب ، فإن شئنا قمنا ، وإن شئنا ضحكنا ، وإن شئنا بكينا ، وإن شئنا مسكنا ، وإن شئنا فجرنا ، وإن شئنا أمسكنا عن الفجور ، وإن شئنا آمننا ، وإن شئنا كفرنا ، وإن شئنا صلينا ، وإن شئنا لم نصل ، وإن شئنا صمنا ، وإن شئنا لم نصم ، ولذلك لزمنا الحجة ، ووجب علينا الحكم من الشواب والعقاب ، والجنة والنار ، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥٤) ﴿١﴾ .

وأما قوله : ﴿ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ (٤٣) ﴿٢﴾ ، فإنما يعنى ذلك ، ما فى الدنيا من العبر ، التى تضحك وتبكى ، ألا ترى أنه ، عز وجل ، قال : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ (٢١) ﴿٣﴾ ، وليس هو ، جل ثناؤه ، الذى يحضر الموتى ولا يدفنهم ، فعلى هذا القياس يخرج الإبكاء والإضحاك ؛ لأن استطاعة البكاء والضحك ، موجودة فى بنى آدم من قبل الفعل .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ قَرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ (٢) الذى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴿٤﴾ ، والله ، عز وجل ، لم يبر (٥) الأقلام ، ولم يستمد بها من الدوى ، ولم يخط بها فى الألواح ، ولا فى الصحف ، وإنما هداهم للتعليم .

وكذلك هداهم إلى صنعة الدروع وغيرها ، ولم يصنعها هو دروعاً ، عز عن ذلك رب العالمين .

هل خلق اختلاف الألسنة ؟ ..

أما اختلاف الألسنة ، فهو الدلالة على كل لغة والتعريف بها ، لأنه خلق ذلك الكلام الذى قال أهل اللغات ، وجاء فى الخبر أن لغة بنى آدم افرقت ثمانين لساناً ،

(١) سورة يس : الآية ٥٤ .

(٢) سورة النجم : الآية ٤٣ .

(٣) سورة عبس : آية ٢١ .

(٤) سورة العلق : الآيات ٣ - ٥ .

(٥) فى الاصل : يبرى .

فلو خلق كلام المتكلمين ، لكان الخالق لقول الكفار . أنه ثالث ثلاثة ، ولو كان ذلك منه ، لم يجز في الحكمة ، ولا في العدل أن يخلق قولهم أنه ، عز وجل ، ثالث ثلاثة ، ثم يقول : ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣) ﴿١﴾ ، ويلزمكم أنهم لو انتهوا عن قولهم : إن الله ثالث ثلاثة ، كان القول الآخر ، الذى صاروا إليه ١٠٩ ظ / وانتهوا فيه عن / الأول ، هو خلق الله أيضاً ، فإذا هو ينهاهم عن خلقه ، ويجولهم إلى خلقه ، وهذا هو المحال !! .. والله ، عز وجل ، لا يأمر بالمحال ثم يغضب ، زعمتم ، من خلقه ، وتغضب السماوات والأرض والجبال ، فيكذن أن يتشققن وينفطرن ويتهددن من خلقه ، زعمتم ، ثم يخلد العباد فى النار ، على خلقه وإرادته وتقديره !!

فهل الله كله حكمة :

وهذه صفة أهل العبث ، واللعب والتخليط والمجانين ، وليس هذه صفة الحكيم الرحيم العادل ، الذى لا ضلال فى حكمته ، ولا عبث فى تقديره ، ولا حجة لأحد فى صنعه وخلقته ، عز عن ذلك ربنا وتعالى .

ثم نقول لك : أخبرنا عن إرادة الله ، عز وجل ، لكفر خلقه ، زعمت ، هل هو أهل لما أراد من ذلك ؟

فإن قلت : نعم ، هو أهل لما أراد من ذلك . فإن قلت : نعم ، هو أهل لما أراد من ذلك .

لزمك أن الله ، عز وجل ، أهل أن يكفر به ..! وبأن كفره ، وحسبك بهذا جهلاً .
وإن قلت : إن الله ليس بأهل لما أراد من الكفر .

لزمك أنه ليس بأهل لما أراد ..! وفى هذه فضيحتك وانقطاعك ، فاختر أى القولين شئت ، ففى هذه المسألة وحدها ، قطع كل مجبر على وجه الأرض .

هل خلق السراييل؟

وأما السراييل التى سألت عنها ، فهى أيضاً دلالة الله ، عز وجل ، دل عليها

(١) سورة المائدة : الآية ٧٣

المؤمنين، وتعريف عرفهم به ؛ ليتحصنوا بها عن الظالمين ، دل الله ، جل ثناؤه وعز ، نبيه داود ، صلى الله عليه ، فعملها بيده وقدر سردها باستطاعته ، ولم يخلق الله ، عز وجل ، الدروع خلقاً ومساميراً ، وإنما خلق الله ، عز وجل ، عين الحديد ، ومن ذلك الحديد عمل الناس الدروع ، وكذلك جميع الصناعات ، ولم يخلق الدروع فيكون زراداً ، ولا السفن فيكون نجاراً ، وقد قال : ﴿ أَفَرَأَى بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَفَرَأَى رَبَّكَ الْأَكْرَمَ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ (١) ، فهل نقول إن كلُّ كتاب كتبه أحدٌ ، من كفر وإلحاد وتشبيه ، وجبر وشعر وغناء ، وسفه وفساد ، أن الله ، عز وجل ، هو الذى كتب ذلك الكتاب ؛ لأن خلقه فعله ، زعمت ، وفعله صنعه ، وأنه فعل خلق أفعالهم ؟!!..

فيلزمك أنه إذا تكاتب سفيهان بالسفه ، أحدهما إلى الآخر ، كان الله عندك هو الذى كتب ذلك الكتاب وخلقته !!.. وكفالك بهذا فرية على الله ، عز وجل .

وقد سمعت كيف أخبر ، عز وجل ، عن أمره لداود لصنعه الدروع ، ولنبيه نوح ، صلى الله عليهما ، بعمل السفينة ، وأنه لبث سنيناً كثيرة يعملها ، وكلما مرُّ عليه ملا من قومه سخروا منه ، ولو كان الله ، عز وجل ، الذى عملها ، لوجب عليك أنها ١٠ و ١١ / لم تنجح لله ، عز وجل ، إلا بعد سنين / كثيرة ، ولم يصح قوله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤١) ﴾ (١) ، من غير نجار ولا زراد ، ولا حداد ولا صانع !!..

فجعلت أنت أفعال العباد كلها ، فعلاً لله ، تعالى ؛ لجهلك بعدله وحسن تقديره ، وأنه لا يعذب على صنعه ، وعلى أمر اضطر العباد إليه .

وقد أعلمناك أن الجعل فى كتاب الله ، عز وجل ، على وجهين : جعل حكم وتسميه ، وجعل حتم ولا مخرج منه ؛ وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ مِنَ الْفَلَكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٦٧) ﴾ (٢) ، فذلك فى الفلك خاصةً ، دلالة وتسمية ، لا أنه نجرها ولا دسرها ، ولا أنهم يركبون الفلك ، لا بدُّ لهم من ركوبها حتماً ، إنما الأمر إليهم ، إن شاءوا

(١) سورة العلق : الآيات ١ - ٥ .

(٢) سورة النحل : آية ٤٠ ، اخطأ الناسخ فكتبها هكذا : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُنَا ... ﴾

(٣) سورة الرخيف : آية ١٢

ركبوها، وإن شاءوا تركوها ، تخبيراً لا جبراً ، وإنما أخبرهم بالنعمة، فيما سخر لهم من العيدان ، والدلالة على عمل التجارة، والمسافرة على وجه الماء ، فهذه نعم ، يجب أن نشكر ونعترف لمن تفضل بها .

وكذلك ما اعتلتت به من العطشان، والجائع والعازي، فالله ، عز وجل ، الذى خلق الطعام والشراب، وأمر بالإحسان إلى الجياع والعطاش ، ولم يطعمهم من طريق الضيافة، والتلقيم لهم، ولا حمل الكؤوس إلى أفواههم ، ولا النسيج لثياب العارفين ، وإنما أمر بالإحسان من بعضهم إلى بعض ، وحض عليه ، وقال ﴿ وَلَا تَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ ^(١) ، فهذا إطعامه وكسوته ونعمته ، وقال : ﴿ . . . وَإِنْ تَعَدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ^(٢) ، وهذا هو وجه القول ، وإصابة المعنى ، لا ما ذهبت إليه من أن الله ، عز وجل ، هو الذى يفعل جميع أفعال العباد ، وأنه ، زعمت ، الذى خلق السفن والدروع ، وغير ذلك من أعمالهم التى عملوها بأيديهم ، واتخاذهم للأصنام / !! . . .

فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٩٦)

فإن قلت : إنه قد قال فى كتابه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٩٦) ^(٣) . قلنا لك : إنه خلق الذهب والفضة، والنحاس والحديد، والخشب والحجارة، التى عملوا منها الأصنام، فصوروها وقدروها ونحتوها ، وليس ذلك الذى عملوا بأيديهم، فعلاً لله ، عز وجل ، وإنما فعله خلق الأشياء التى منها عملوا ، ولو كان فعل فعلهم ، لوجب لهم عليه، أن لا يندبهم إلى طاعة، ولا يسألهم تقصيراً ، ولا يعذبهم على غير جرم ، وهو الذى فعل جميع أفعالهم، وقد أخبرهم أنه لا يجور عليهم ، ولا يظلمهم ، وأنه يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر . فأى عسر أعسر مما قلتم ، وأى ظلم أكبر مما ذكرتم ؟ .. عز عن ذلك اللطيف الخبير .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٧ .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٣٤ .

(٣) سورة الصافات - آية ٩٦ .

الجبيرة ، خلق الله أعمال العباد وما فعلته أيديهم ،

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عند ذلك ، كيف جعل الله السراييل ١٠ / التي تقى / الحر ، وتقى البرد ، وكيف جعل الله من الجبال أكناناً ؟ مما لم يكن فيه ذكر ، إلا بعمل الناس ، أفعل الله ذلك الخلق ووصله ، وغزل القطن ، والكتان وحاكها ؟ .. فإن قالوا : لا .. فقل كيف جعل الله السراييل ؟ .. فإنهم لن يجدوا من أن يقولوا : خلق الله عمل الله ، وجعل عملهم .

فقل : أفليس الله جاعل عملهم ، وخالقه وصانعه ؟ ..

فإن قالوا : نعم . فقد أعطوك ، بأن الله خالق أعمال العباد وصنعمهم ، وهذا قولنا ، وهو العدل .

فإن أبوا أن يطعوك هذا ، فاعد عليهم المسألة ، فقل : كيف جعل الله إذا السراييل ، التي تقى الحر ، والتي تقى البأس ، أهو خلق الخلق وصنعه ووصله ، وهو الذي غزل وحاك وخاط الثياب ؟ ..

فإنهم لن يعطوك هذا ، ولن يجدوا بدأ من أن يجعلوا صنع الله فيها ، خلق الله لأعمالهم ، وجعل الله لأعمالهم هو صنعه .

ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ .. ﴾ (١) .. كيف جعل الله الفلك ؟ ..

فإن قالوا : خلق الشجر . فقل لهم عند ذلك : أليس إذا رأينا خشبة أو شجرة ، قلنا : هذه فلك ؟ ..

فإن قالوا : نعم .. فهذا ما لا يقبله أحد ، ويعلم من سمعه أنه كذب ، ولن يعطوك هذا .

وإن قالوا : جعل الله لعمل العباد ، وصنع الله لعملهم ، فهو قوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ ﴾ .

فقل لهم حينئذ : هذا قولنا ، إنا نقول : إن جعل الله للفلك ، جعله لعملها ، وكلها

(١) سورة الزخرف : الآية ١٢ .

جعل الله ، وجعله فهو خلقه ؛ لأن الله جاعل ما خلق ، وخالق ما جعل ، وخلقه وجعله وصنعه للأشياء واحد ، لم يصنع الله شيئاً لم يخلقه ، ولم يخلق الله شيئاً لم يجعله .

وإن ذهبوا يلوون ألسنتهم بشئ ، فسلمهم : كيف جعل الله الفلك ؟ .. أهو شق الخشب وحورها ونحتها ؟ .. فإنهم لن يعطوك هذا ، ولن يجدوا جواباً ، إلا أن يقولوا : إن جعل الله لها ، خلق الله لعمل العباد لها .

رد أحمد بن يحيى :

الجواب : قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، قد فهمنا ما سألت عنه ، من إضافتك إلى الله ، جل ثناؤه ، خلق السراويل ، التي تقي الحر والبأس ، وعمل الأكنان والسفن ، وغير ذلك من أفعال العباد ، التي أضفت إلى الله ، جل ثناؤه ، وتريد بذلك أن تلزمننا ، أنه عمل الزرارة والنجارة ، والخياطة والخرازة ؛ لتثبت أنه الذي فعل الزنا والشرك ، والكفر وجميع المعاصي ، جل الله وتعالى عما قلت ، قدوس قدوس رب العالمين .

١١١ و / وأما قولك : إنه يلزمننا ، إذا أنكرنا عليك أن الله برئ مما أضفت إليه ، أنه لم يجعل أكناناً / من الجبال التي عملها العباد ، وكذلك السفن والزرور وغيرها ، فلذلك نقول : إن العباد هم الذين حفروا بعض الكنان التي في الجبال ، وعملوها بمعالهم وأيديهم ، وقوتهم المركبة فيهم .

وأن الله ، عز وجل ، لم يعملها ، ولم يحفرها بالمعاول ، وإنما جعل الأكنان والكهوف التي هي في الجبال ، مخلوقة بلا معاول ولا كلفة ، قال لها : كونى . فكانت من آخر ساعتها .

فكذلك فعله ، عز وجل ، المخلوق في الجبال ، والعباد ما عملوا أكنانهم التي^(١) حفروها بعد الدهور الطويلة ، والتعب والنصب ، وكذلك القصور ، ولم يقولوا لها : كونى . فكانت .

(١) في الأصل الذي

وليس لله ، جل ثناؤه ، فى فعلهم لها فعل ، غير ما أعطاهم من القوة، التى اختاروا بها ما أرادوا .

فهذا قولنا ، والدليل على ذلك قوله ، عز وجل ، ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴾^(٢) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾^(٣) .

أفلا تراه كيف أضاف اتخاذ المصانع إليهم ، عاب عليهم اتخاذها ، لعلمهم يخلدون ، ولم يقل كما قلت ؛ أنه خلف ماعملوا فيها . فهذا شاهد من كتاب الله ، جل ثناؤه .

وزعمت أنك لا تستطيع أن تكتب علينا كل ما يدخل فى مسألك ؛ لأنها ، زعمت ، تكثر ، وانت أيها المسكين المغرور ، لم تظن أن يحل بك منا ما حل ، ولا ينزل بك ما نزل ، وليس صبي من صبيان أهل العدل ، يهوله مسائل الجبر ؛ لأن الحق إنما جعله الله ، عز وجل ، حقاً فى نفسه بالجد ، والباطل جعله باطلاً فى نفسه بالحكم والتسمية ، لا بالخلق والجبر .

فمحال أن يزهد حق ، ويثبت باطل ، وإنما الذى يزهد الباطل ، ويثبت الحق . وكذلك قال رب العالمين : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾^(٤) ، وإلا فإوجدنا ، إن كنت صادقاً قوياً الحجة ، أين موضع خلق الله لأفعال العباد ، حتى نعرف كيف ذلك الخلق ، وكيف صورته ؟!! .. وأين موضعه ، وإين يكون ، حتى نفرق لنا بينه وبين فعل العباد ، ولو بمقياس شعرة!! ..

فلن تجرد ذلك أبداً بنور الله ، وبرأته من قولكم .. وأما قولك أنك^(٤) تسأل عن قول الله ، جل وعز ، جعل لكم سراييل تقيكم الحر ، وسراييل تقيكم باسكم .

فقلت : كيف جعل الله السراييل ؟ ، وكيف خلقها لهم ، وهم الذين عملوها ، كما عملوا الكفر والإيمان ؟ ..

(١) سورة الروم : الآية ٤١ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) سورة الانبياء : الآية ١٨ .

(٤) فى الاصل : ان .

١١١ظ / فإن قلنا لك : / زعمت : إن الله خَلَقَ الشجر ، الذى يكون منه الشياب ، وخلق الحديد ، الذى يكون منه السرابيل . فتسألنا ، زعمت : هل يجوز إذا رأينا حديداً أن نقول : هذا سرابيل ، وإذا رأينا شجر قطنٍ أو قطناً أو كتاناً ، قلنا : هذه سرابيل تقينا الحر ، ولم تغزل ، ولم تنسج ، ولم تُحك ، ولم تُعمل ، وإذا رأينا جبلاً مصنوعاً ليس فيه كِنٌ ، قلنا : هذا كِنٌ ؟ ..!!

فإذا قلنا : نعم ، زعمت .. قلت : فهذا ما لا تقبله العقول ، ولا يمتري فيه أحد أنه كذب .

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، فجوابنا لك أنه يلزمك فى هذه الدعوى ، مثل ما يلزمنا لك ، وقد علمت ، وعلم أهل العقول ، أنا لا نقول أن الحديد ولا القطن ولا شجر القطن ، يجوز فى اللغة أن يسمى ^(١) سرابيل تقينا الحر وسرابيل تقينا الباس .. ولا يجوز أن يقال لجبل ليس فيه كِنٌ : إنه كِنٌ . هذا باطل فاسد ، مجال من المقال لا يقوله أحد ، ولا يذهب اليه متكلم .

ويلزمك ان الله ، عز وجل ، خلقها منفرداً بخلقها ، ثم أوجدها ، فعمل العباد منها السرابيل ، هم منفردون بعمل ذلك ؛ لأن الله ، عز وجل ، الذى فعلها ، لم يعمل الدروع حلقاً مدوره ولا سمرها بمساميرها دُسرأ ، ولا جعل لها الجيوب ولا الاكمام ، ولا حفر الكهوف فى الجبال بالمعاول ، وإنما خلق الله ، عز وجل ، الحديد الذى منه عُمِلت الدروع ، وخلق الشجر ، وخلق فيه القطن ، الذى منه عمل الناس الشياب ، وحاكوها هم منفردون بعمل ذلك كله ، والحديد والشجر .

وجميع ما خلق الله من الاشياء ، التى منها اشتق العباد ما عملوا ، كل ذلك ، موجود غير معدوم ولا مفقود ، تبصره الأعيان وتحسه الأيدي ، وتدركه جميع الحواس ، وتوقن به العقول ، ويوجد جسماً مجسماً مرأياً ^(٢) مدركاً حاضراً معروفاً ، لا شك فيه ولا مرية .

وعند ذلك تلزمك ، أيها المفترى على الله ، عز وجل ، الفرية العظيمة فى قولك :

(١) فى الاصل : يسما .

(٢) فى الاصل : مريا .

إنه خلق الكفر والشرك وجميع القبائح والمعاصي ، كما خلق الحديد وشجر القطن ، والكهوف الموجودة في الجبال من خلق الله ، عز وجل ، وتقديره ، وإنك تلزمه ، عز وجل ، أنه خلق الدروع وحال الثياب وعمل السفن والصناعات والكهوف المحفورة .

فنقول لك ، أيها السائل المفترى على الله : أوجدنا الكفر والشرك والزنا والخنا ، وقول الكفار : إن الله ثالث ، ثلاثة وأن له ، عز وجل ، صاحبةً وأولاداً ، وكذلك ١٢٢ و / توجدنا قتل الأنبياء وأئمة الهدى ، كما أوجدنا الحديد الذي منه عملت / الدروع والشجر ، الذي منه عمل القطن ، والخشب الذي منه عملت السفن ، وجميع ما ذكرت ، حتى نبصره بالأعيان وتلمسه الأيدي ، وتدركه جميع الحواس ، ويكون جسماً موجوداً معروفاً قد تميزه ، من قبل فعل آدميين له ، كما تميز الحديد ، وشجر القطن وغيره ، من قبل عمل آدميين له ، فتوجدناه جسماً معروفاً مقدوراً عليه ، ومنظوراً إليه ، أو مسموعاً صوته ، أو مشمومةً رائحته ، أو مدركاً ذوقه ، أو ملموساً بحاسة ، أو محوياً بقطر من الاقطار ، كما أوجدنا الحديد والقطن والخشب ، وغير ذلك مما خلق الله ، عز وجل .

لا بد لك من ذلك وإلا لزمك ، أنك تناظرنا على أمر محال ، وخلق لا يدرك ولا يعرف ، ولا يوجد منجسماً ولا مرأياً ولا ملموساً ، فتكون دعواك باطلة بلا بينة ، ولا أمر تشهد عليه العقول والالباب ، ولا تدركه الحواس ، ولا يوجد في لغة العرب ، ولا يوجد في كتاب ولا سنة !!

وإنما هذه من نزغات الشيطان ، ألقاها في قلوبكم وعلى السنتكم ، لتثبتوا بها حجة المشركين والكافرين والزناة وقتلة الأنبياء ، وجميع العصاة ، وأن تكون الخجة لهم على الله لازمةً ، وعليه قائمة ، بما خلق لهم ، زعمت ، وفيهم من الشرك والكفر والزنا واللواط ، وجميع المعاصي ، فأخذوا كل هذه الفواحش والكبائر ، من فواحش قد وجدوا ربهم ، زعمت ، قد سبق إلى فعلها ، وخلقها قبل خلقهم لها ، فمنها عملوا وفيها أخذوا ، ولولاها ما وجدوا كفراً يكفرونه ، ولا شركاً يشركونه ، ولا زناً يزنونه ، ولا لواطاً يلوطونه ، ولا قتلاً يقتلونهم ، ولا عصياناً يفعلونه ..

كما أنه ، عز وجل ، لم يخلق لهم الحديد ، وشجر القطن ، والتراب والماء والحجارة ، والادم والصوف والشعر والجبال ، ولم يجدوا حديداً يعملون منه الدروع ،

ولا شجر قطن، يحوكون منه الثياب، ولاصوفاً يعملون منها الاكسية، وغير ذلك من الاثاث، ولا ترابياً، ولا ما يعملون منه القصور، ولا خشباً يعملون منه الابواب والسقوف .

* ومن الحججة لنا عليك في أن الاستطاعة قبل الفعل ، وأن أفعال العباد في قولنا نحن ، غير خلق الله ، عز وجل ، وأنه برئ من خلقها ، وأنها فعلهم ، هم تفرّدوا بها ، لا فعل رب العالمين ، عز عن ذلك وتعالى .

فنقول لك أيها المجبر ، وإخوانك المجبرة : خبرونا متى خلق الله ، عز وجل ، الإسلامَ أقبِلَ الرسل ، أم بعد إرسال الرسل ١؟

١- فإن قلتم : إن الله ، جل ثناؤه ، خلق الإسلام ، قبل إرسال الرسل . لزمكم أن الاستطاعة قبل الفعل ، ولزمكم أيضاً أن إرساله لأولهم ، وهو آدم ، عليه السلام ، ١٢ / ظ / أن الصيام / والصلاة والحج والعمرة والجهاد وجميع الفرائض ، قد كانت معروفة موجودة محدودة مخلوقة ، قبل أن يرسل الله ، عز وجل ، بها آدم ، عليه السلام ! ...

ثم يلزمكم أيضاً أن يقال لكم : خبرونا عن هذه الفرائض التي^(١) ، زعمتم ، أنها مخلوقة قبل بعثة آدم ، عليه السلام ، كيف هي ، وما هي ، أفي أرض أم في سماء ، وكيف صورها ؟ .. وهل تدركُ ببصرٍ ، أو تحس بسمع ، أو تنال بلمس ، أو تُذاق (بلسان) أو تشم باستنشاء؟

٢- فإن قلتم : إنها موجودة في الأوهام ، من غير أن تدرك بالحواس .. قلنا لكم : فقد نراكم قد أوجدتمونا قديماً ، موجوداً في الأوهام آخر مع الله ، عز وجل ، ولا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، فيه الصفة التي وصفتم بها الواحد الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) ، وهذا كفرٌ بالله العظيم ، وخروج من الاسلام ، وإبطال الرُحْدانية ، ودعوى^(٣) إلهين اثنين ، صفتها واحدة ، لا فرق بينهما ؛ لأنكم

(١) في الاصل : الذي .

(٢) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٣) في الاصل : دعوا .

أدعيتهم شيئاً ليس له حدٌ ، ولا غايةٌ تعرف ، ولا نهايةٌ يوقف عليها ، ولا تدركها الحواس ، ولا تُعلمُ هذه الصفة إلا للواحد القديم الأزلي ، الذي ليس كمثله شئٌ ، تبارك وتعالى .. فهذه حجةٌ لازمةٌ لك ، ودامعةٌ لدعواكم ، ولا مخرج لكم منها .

٣- وإن قلتم : إن الله ، عز وجل ، خلق الإسلام ، بعدما أرسل الرسل . لزمكم أن الاستطاعة قبل الفعل أيضاً ، وأن الله ، جل ثناؤه ، أرسل رسله يوم أرسلهم ، ليس معهم إسلامٌ يدعون الناس إليه ولا هدى ^(١) يوجب لهم الطاعة ، ولا تقومُ لله به على بريته حجة ، لانه ، زعمتم ، إنما خلق الإسلام بعد إرسال الرسل !!

فوجبَ عليكم أنه أرسل إلى الناس رسلاً غير مسلمين ، إذ لا إسلام معهم ، وإنما خلقه ، زعمتم ، بعد إرسالهم ..

وكفى بهذا كفراً وجهلاً من قائله ، وفيه خروجكم من دين الإسلام .

٤- وإن قلتم : خلق الله ، عز وجل ، الإسلام ، مع إرساله للرسل ، لا قبل ذلك ولا بعده ، رجع عليكم القول الأول ، والمطالبة لكم من خصومكم ، بأنه لأبدٌ لكم أن توجدونا الإسلام الذي ادعيتم أنه خلق مع إرسال الرسل . بحدوده وشخصه ، ولمسه وذوقه ، وسمعه ^(٢) وصوته ، وحسه والنظر إلى صورته ، وإدراكه وإحاطة الاقطار به ، حتى يعرف ويوجد ، ويوقف على صورة ذلك الخلق إن كان خلقاً لله ، عز وجل !

٥- وإن قلتم : إنه لا يدرك إلا بالصفة لا غيرها . لزمكم أنه واحد ليس كمثله شئٌ ؛ لانه قد انتظمت صفة الله ، عز وجل ، الذي ليس كمثله شئٌ ، في زعمكم ، لان كل شئ خلقه الله ، عز وجل ، من الخردلة فما فوقها في السموات والأرض ، لأبدٌ له من سته حدودٍ ، تحوى كل مخلوقٍ خلقه الله ، عز وجل ، وهي القدام ١١٣ و / والخلف . / واليمينه واليسرة والفرق والتحت ، فهذه الحدود لأبدٌ لها أن تحيط بكل مخلوق ، لان الخالق ، عز وجل ، لا حدٌ له ولا قدام ولا خلف ولا يمينه ولا يسرة ولا فوق ولا تحت .

(١) في الاصل : هدا .

(٢) في الاصل : سمع .

فهذا الفرق بين الخالق ، عز وجل ، وبين المخلوق ، وما ليس له حدٌ يُدرك بالحواس ، فليس هو خلقاً لله ، عز وجل .

وهذا اكبر دليل على أن أفعال العباد غير مخلوقة ، لو كانت مخلوقة ، لكانت بائنةً ، بمعنى تحيط به الحدود والأقطار، دون فاعليها .. وإنما أفعال بنى آدم حركاتهم، وفعلهم هم لا فعل الله ، عز وجل ، ولا خلقه .

٦- وكذلك الكفر ، يلزمكم فى خلقه من الحجّة ، مثل ما لزمكم فى خلق الإسلام ، سوى^(١) أن ادعيتم أنه خلق قبل الكفار ، طالبناكم بتشخصه وحدّه ولمسه ، ودرك الحواس جميعاً له .

فإن لم تاتوا على ذلك ببرهان ، لزمكم توحيدّه ، لما جعلتموه بصفة الواحد ، ولأبديّ لكم من أحد هذه الثلاثة الوجوه ، التى ذكرنا لكم، ليس لها رابعٌ ، وليس لكم من واحد منه مخرجٌ .

فاعرف ما قلت ، يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، لإخوانك من قولك لهم : أن ليس قولٌ أقرب الى قول الزنادقة ، زعمت ، من قول أهل العدل، أن ليس أفعال العباد مخلوقة .

فأى القولين الآن أقرب الى الزندقة ، بل أيهما هو الزندقة ، بل أيها هو الشرك الأعظم ، الذى جعلتم الله ، عز وجل ، عن قولكم فيه ، شريكاً لكل مشرك ، أو فاعل فاحشة ، أو مرتكب لعظيم كفر ، فجاز على^(٢) حد قولكم ، قول أهل الأصنام ، وفات من جميع الأنام ، وأخرجكم من ربة الإسلام ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

قال الله ، عز وجل .: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (١٠٥) ﴿٣﴾ ، وقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُكْفِرُونَ ﴾ (٦٦) ﴿٤﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ (٤) ، أهذا عندك قول من أراد أن يكفر به ، أو قول من خلق الكذب والاستكبار وعذب عليه . . .

(١) فى الاصل : سوا .

(٢) ليست فى الاصل .

(٣) سورة المؤمنون : الآية ١٠٥ .

(٤) سورة المؤمنون : الآيات ٦٦ - ٦٧ .

ثم سمي نفسه عادلاً لا يظلم ! ثم قال : ﴿ أَنْ اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١) ..

* وأما اعتلاك بقوله ، عز وجل ، ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٢) ، فقد أعملناك أن هذا خصوصاً لا عموم ، والدليل على ذلك ما يلزمك إلا قرار به ، أحببت أو كرهت ، وهو قوله ، عز وجل ، ﴿ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ^(٣) .

١- فنقول لك : أخبرنا عن الدهرية المعطلة ، الذين زعموا أن ليس لهم خالق ، أليس هم شيء أم لا ؟! ..

فإن قلت أن ليس هم بشيء .. أكذبك جميع الخلق ، وخرجت من حد الكلام ، ودخلت في العبث .

١١٣ظ / وإن قلت : هم شيء .. قلنا : فهل / هم يسبحون الله ؟! ..

فإن قلت : نعم . بآنت فضحتك ، وأكذبك جميع الخلق ، لانهم معطلة ، يحجدون الخالق ، وهم الذين ذكرهم الله ، عز وجل ، في كتابه حين قال : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ^(٤) .

وإن أقررت أنهم ليس يسبحون الله ، جل ثناؤه .

قلنا لك : قد صدقت ، وفي صدقك هذا ، يلزمك أن ليس كل شيء يسبح الله ، عز وجل ، وإنما عنى ^(٥) بعضاً دون بعض .

٢- وكذلك قوله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٦) ، إنما عنى ما خلقه ، جل وعز ، لا ما خلق العباد ، وفي هذا كفاية لمن عقل .

وإنما خلق الله ، جل وعز ، الأجسام والأعراض ، لا غيرهما مما يعرف ، وليس له ، عز وجل ، خلق ثالث يعرف ، إلا الأجسام والأعراض ، إلا ما قاله ، عز وجل :

(١) سورة التوبة : آية ٣ .

(٢) سورة الرعد ، آية ١٦ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

(٤) سورة المجاثية : آية ٢٤ .

(٥) في الأصل : عنا .

(٦) سبق تخريجها قريباً .

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨) ﴿^(١)، ولا يقوم عرض إلا فى جسم ، ولا جسم إلا فى عرض .

فإن قلت : إن الأعراض لا تُدرك بالحواس ، ويلزمكم لنا فيها ، مثل ما لزمنا لكم فى خلق أفعال العباد .

قلنا لكم : فإن جوابنا لكم فى ذلك ، أن الأعراض لا تُرى ولا تسمع ولا تُدرك ، وليس أفعال العباد ترى ، أيضاً ، ولا تسمع ولا تُدرك بصورة ينظر إليها ، ولا جسم متجسم ، إلا أن يقول قائل : إن القتل يرى بمعنى غير حركة آدمى ، أو أن الصلاة ترى بمعنى غير حركة آدمى ، أو أن الزنا يدرك بمعنى غير حركة آدمى (أو شئ من جميع أفعال بنى آدم ، يقال فيه أنه يدرك أو يرى بمعنى آخر غير حركة آدمى) ^(٢) .

فلا يوجدُ السبيلُ إلى ذلك أبداً ، إلا أن توجدونا شمسين فى وسط السماء .

٣- والدليل لنا فى الأعراض ، وكذلك الزنا ، ليس هو شئ يدرك ولا يحس ، غير التقاء الفرجين ، وحركة الفاعلين يكون مع ذلك ، ولا يوجد خلق ، كما افتريت ، إلا أجسامهما ، فأجسامهما خلق الله ، عز وجل ، وكذلك الزكاة ، ليس هى بشئ يُحسُّ ولا يدرك ، غير دفع الدينانير والدرهم والحبوب ، من يد رجل إلى رجل ، فأين خلق الزكاة ؟ .. أوجدناه إن كنت صادقاً حتى نعرفه بصورته !! ولن تجد ذلك أبداً ، وكذلك الجهاد ليس هو شئ يُحسُّ ولا يدرك ، إلا الرجل يضع السيف ، ويرفعه ، ويرسل السهم ، ويمد الرمح ويصرفه .

فأين خلق الله ، عز وجل ، لقتل الأنبياء ، وسفكه الدماء ، وفعله لجميع القبائح من الأشياء التى قلت فيه ؛ هل هو إلا ما ذكرنا من حركات بنى آدم ، التى يرى الله ، عز وجل ١١٤ و / وجل : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِنْكَاءً ﴾ ^(٣) ، وتلك الحركة فهى فرع الاستطاعة التى ركبها الله ، عز وجل ، فى خلقه ، وهى القوة التى وهب لهم ^(٤) ، وفوضهم فيها ،

(١) سورة النحل : آية ٨ ..

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٤) فى الهامش شرح عبارة عما بلى : (..... لا يستعملوا تلك القوة التى وهب)

وجعلهم فيها مخيرين غير مجبورين ، فى إمساكها ولا إرسالها، إلا فى جميع ما يرضيه ، والأ يعملوا بها شيئاً مما يسخطه ، وأعد الجنة لمن اطاعه، وأعد النار لمن عصاه ، وأرسل بذلك الرسل، وأنزل به الكتب ، وأعذر وأنذر، وحذّر وكرر :

﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٦﴾ ﴾^(١) ، غمن ادعى^(٢) بعد هذا شيئاً ، يريد به إسقاط الحجّة عن الكفار والمعاصه ، ويلزم الله ، عز وجل ، الظلم والجور ، فقد كفر بآيات القرآن ، وهو قوله ، عز وجل : ﴿ لَقَدْ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾^(٣) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧﴾ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾^(٦) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾^(٧) .

لم يرد الله الكفر من الكفار:

وقلت أنت أيها المجرم: إنه أراد الكفر من الكفار. وقد كررنا هذه الآيات ، لأنها حجة الله ، عز وجل ، ولا حجة أقوى منها ، وقد وجدنا الله ، تبارك وتعالى ، وقد كرر القول فى غير موضع من كتابه، لتأكيد الحجّة، والإبلاغ فى الموعظة ، وفى أقل مما قلنا كفاية، وانقطاع لكل مجبر على وجه الأرض ، والحمد لله رب العالمين .

٤- ومن الحجّة عليكم فى قولكم : إن الله ، عز وجل ، خلق الإسلام قبل إرسال الرسل . أنه يزمكم أنه قد كانت صلاة موجودة من غير مصّل ، وزكاة موجودة من غير متزكّ، وصيام موجود من غير صائم ، وحج موجود من غير حاج ، وعمرة موجودة من غير معتمر ، وجهاد من غير مجاهد ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر من غير

(١) سورة الانفال : الآية ٤٦ .

(٢) فى الاصل : ادعا .

(٣) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢١٣ ، وكتبها الناسخ خطأ هكذا (وما اختلفوا إلا من بعد) .

(٥) سورة التوبة : الآية ٧٠ .

(٦) سورة الانفال : الآية ٥٣ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

قائم بذلك ، وهذا هو الخروج من المعقول، وهو يبطل قولكم انه فعل من فاعلين ،
بأوكد حجة وأوضح برهان ..

وإن قلتُم : إن الله خلق الإسلامَ بعد إرسال الرسل .. لزمكم أن الاستطاعة موجودة
قبل الفعل لا بد من ذلك ، لأنه يلزمكم أن الرسل قد دعتمكم إلى أمر قبل فعلكم
له ، إذ ليس من شأنها ، عليها السلام ، ولا في عدل من خلقها ، تبارك وتعالى ،
الدعاء إلى ما لا سبيل إلى دركه .

وإن قلتُم : إن الله خلق الإسلامَ مع إرسال الرسل .. لزمكم أن توجدونا صورة
الإسلام وحسه ودركه ، قبل أن يفعل ...

فإن قلتُم : إنه لا يدرك إلا بالصفة .. لزمكم أنه إله موجود فيه ، مثل صفة الله ،
١١٤ و / تبارك وتعالى ، فلا خلاص لكم من هذه الثلاثة / الوجوه ، وفيها انقطاع
قولكم ، وبيان جهلكم ، وفريتكم على خالقكم ، ومفارقتكم لكتابه صراحاً ،
وظلمكم لاهل العدل ، وكذبكم عليهم .

إلا ان ترجعوا وتوبوا ، ويكون قولكم : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق أفعال
العباد ، لا الصالح ولا الطالح ، وأنه برئ من ذلك كله ، إلا ما أمر به ونهى ^(١)
عنه ، وهو متعال عن خلق أفعال العباد ، متنزه عن خلق الفواحش ، وجميع
الشرك والظلم والكفر ، وقتل الرسل وأئمة الهدى ، وإن لا ، فالنا لا شك فيه ،
لقوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ السَّهْوِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) ،
وقوله : ﴿ أَنَّ السُّلْطَنَ بِرِيءٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤) (١٠٨) ، وقوله : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً
قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ... ﴾ ^(٥) .

أفلا تسمع إلى قولهم وإقرارهم ، أنهم الذين فرطوا ، وأنهم قد دعوا بالحسرة

(١) في الاصل : ونها .

(٢) سورة الاعراف : الآية ٢٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٥) سورة الانعام : الآية ٣١ .

على ذلك التفريط ، ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ (٣١) ،^(١) ولم يقولوا كما قلت : يا حسرتنا على ما خلق الله فينا من أفعالنا ، وعلى ما أراد منا .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾ (٦١) ،^(٢) فنقول لك : أخبرنا عَمَّنْ قَدَّمَ لَهُمْ ذَلِكَ أَهْوِ الْمَرِيدَ لِكُفْرِهِمْ !!
فإن قلت : لا .. رجعت عن قولك بالجبر .

وإن قلت : نعم ، المقدم لعذابهم هو المرید لكفرهم .. لزمك أن خالقتك يدعو على نفسه بعذاب الناس ، وهذا أعظم^(٣) كفر قال به قائل ! .. فالحمد لله المعز لدينه ، والموضح لبراهينه ، والناصر لأهل طاعته ، والذابين عن كتابه ، وهو القوى العزيز .

واعلم علماً يقيناً أنه لا حد لفعل بنى آدم يدرك ، إلا حد فاعله ، وليس هو بشئ بائن عن فاعله ، إنما هي الحركات الموجودة فيهم ، وهي فرع لاستطاعتهم ، والاستطاعة فعل الله ، عز وجل ، والتي عليها البنية والحركات ، فعملوها بإرادتهم واختيارهم ، بعد الأمر والنهي من الخالق الحكيم .

ولو كانت أفعال العباد قائمة موجودة وحدها على الانفراد ، بائنة عن الأجسام ، ثم وصفتها المجبرة ، بصفة غير ما قلنا ، للزمها أن تُنبت لها الحدود والأقطار ، وإن لم تجدها ، ونفت عنها الحدود على الانفراد ، لزمها أنها قد وجدتها ، كما وجدت الصانع القديم ، وهذا أبطل باطل يكون ، وفيه القطع لكل مجبر على وجه الأرض ، إذ لا حجة تفسد ما قلنا ، ولا تقض ما به احتجاجنا .

٥- والدليل على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً ﴾^(٤) ، فإنما ذلك الإفك حركاتهم ، ولو كان الإفك شيئاً غير حركاتهم ، منفرداً عن حركاتهم ؛ لوجب ١١٥ / أو أنهم يخترعون عيون الأشياء ، ويخرجونها من العدم الى الوجود ، كفعل الواحد الحميد ، فلا يقدر على ذلك إلا الله الكبير المتعال ، الذي لا يعجزه شئ وهو الولي الحميد .

(٢) سورة ص : الآية ٦١ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(١) سورة الانعام : الآية ٣١ .

(٣) في الاصل : من اعظم .

٦- ويلزمكم أيضاً في قولكم ، أن قلتم : إنه ، عز وجل ، خلق الإسلام مع إرسال الرسل .. أن يقال لكم : إن الرسل متفاوتون في البعثة ، وكلُّ رسول منهم بينه وبين صاحبه ، المدة الطويلة والسنون الكثيرة ، فلا يجوز لكم أن تقولوا : إنه خلق الإسلام لإمام مع إرسال الأول منهم ، ويبقى^(١) من بقى بلا إسلام ، حتى خلق له إسلام جديد يكون معه !! ..

فإن قلتم : إن خلق الإسلام الأول يجزئ من بقى .. قلنا : فقد وجدنا مع كل واحد منهم شريعة ، تخالف الأخرى ، وأحكاماً تخالف الأحكام التي قبلها ، وهذا ينقضُ عليكم ما ادعيتم من خلق الإسلام الأول ؛ لأن مع كل نبي أمر غير أمر صاحبه ، وشريعة غير شريعة صاحبه . فأين الخلق الذي ادعيتم من أن الإسلام مخلوق ؟ .. ١٩ ..

(فلا يجوز ما قلتم ، إنما الإسلام أمر ونهى ، وشريعة وأحكام ، تحدثُ بحدوث النوازل)^(٢) . في كل عصرٍ وزمان ، فالإسلام دين الله ، عز وجل ، وهو أمرٌ أمرٌ ، به لا خلقاً خلقه ، والشرائع مختلفة لحكمة المتعبد لعباده ، وتصريفهم من الأمر على ما أرادهُ .

ولو كان الإسلام مخلوقاً ، لكانت شرائعهُ شيئاً واحداً ، لا تختلفُ ولا تنتقض عن الخلقة الأولى ، التي فطرتُ عليها ، والحمد لله رب العالمين .

عودة إلى أصل قضية خلق أفعال العباد :

وإن أُبَيِّت إلا أن الله الذي خلق أفعال العباد ، قلنا لك : فإنه يلزمك أن توجدنا شركاً وكفراً ، وزناً وقولاً : إن الله ثالثُ ثلاثة ، وإنَّ له ولداً وصاحبةً .. عز عن ذلك ، وكذلك^(٣) توجدنا قطع الطرق ، وأخذ الأموال ، ونقب الحوانيت ، وغل الزكوات ، وقتل الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين .

(١) في الأصل : يبقى .

(٢) زيادة بالهامش .

(٣) كررها النسخ مرتان .

فتوجدنا ذلك كله مَنْ خلق الله له ، كيف خلقه ، فأين وجدته العباد حتى اكتسبوه، كما قلت، .. وأين هو ، وهل تراه الأعيان ، أو هل تسمعه الآذان ، أو تدركه العقول منفرداً ، وهل تدركه الأرجل، وهل يدرك بالذوق أو الشم ، وهل تحويه الفكر ، وهل تقع عليه الخواطر ، وهل تحويه الأقطار منفرداً ، كما تحوى سائر الاشياء المحوية الموجودة ، حتى يصحُّ لك ، وتبين حجتك فيه ونعلم ، نحن وأصحابك ، أنك صادق في دعواك ، أن الله خلق الشرك والكفر وجميع المعاصي ، فيصح ذلك ، لنا ولك ولجميع الناس ، كما صَحَّ الحديد ، الذى قلت ، الذى فيه عملتُ الدروعُ ، والشجر الذى حدث فيه القطن ، فعملت فيه الثياب ، والخشب الذى عملت منه السفن ، كما قلت ؟ .. صح لك ، لعمري . وهذا حق أن الحديد ١٥ / الذى عملت منه / الدروع ، وشجر القطن ، وخشب السفن ، والأكنان فى الجبال ، كل ذلك موجودٌ ، وعَمَل منه الناس جميعَ الصناعات التى (عملها) ^(١) بنو آدم ، وإنما عملوها من أشياء وجدوا الله ، عز وجل ، قد سبق إلى خلقها وإحداثها ، وافتطارها من قبلهم ، فأخرجها من العدم إلى الوجود ، لم يشاركه فى خلقها أحد ، ولم يسبقه إليها صانع ، فعمل الناس منها جميع ما عملوا من الصناعات ، التى لا تقوم الدنيا ولا تمسر إلا بها ويعملهم لها ، وذلك من الدلائل العظام على التوحيد ، أن أحداً لا يحدث جسماً ، ولا يخترع صنع شئ من جميع الأشياء المجسمة ، ولا يقدرُ على إحداث ذلك كله ، إلا الله القوى العزيز .

فمن صنعه وخلقَه وفطرته واختراعه عملوا ، ولولا ما وجدوا من ذلك ، ما قدروا على شئ يعملون منه مصالحهم ، لأن هذه الأشياء ، مشاهدة مرئية موجودة ، تدرك لا شك فيها ، من درك الحس ، من الشم والذوق والسمع والبصر .

وأما الشرك الذى ذكرت ، أنت وإخوانك المجرية ، وجميع المعاصى الذى ادعيتم أن الله ، عز وجل ، خلقها أخرجها من العدم الى الوجود ، فيلزمكم لنا أن تاتوا عليها بدليل وبرهان ، اضوى وأوضح من نور الشمس الطالعة ، حتى يتبين للناس صدقكم ، ولن تجدوا ذلك أبداً ، ولن تقدروا عليه .

(١) بياض فى الاصل .

لأن المعنى الذى ذهبت إليه ، فسميتوه خلقاً لله ، عز وجل عما قلتم ، إنه حركات العباد، التى يتحركون بها بالقوة التى فيهم ، والله ، عز وجل ، وإنما خلق الاستطاعة، وهى القوة المركبة فى بنى آدم ، وهم فيها مخيرون، إن شاءوا تحركوا بها، وإن شاءوا لم يتحركوا ، فالاستطاعة من الله ، عز وجل ، موهوبة منةً ونعمةً، والحركات ليست من الله ، عز وجل ، وإنما هى فعلهم هم ، لا فعل الله ، عز وجل، وشاهد ذلك القوى الواضح من كتاب الله ، عز وجل ، قوله : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) ﴿^(١)﴾ ، فلو كان الله ، عز وجل، وهو خالق لنظرهم الى المحارم ، والخالق لحركاتهم فى الفروج، التى يتحرك بها الأدميون ، لم يجز فى الحكمة ولا فى العدل ، أن يقول للمؤمنين يغضوا أبصارهم، ويحفظوا فروجهم ..!

وإنما نهاهم ، عز وجل ، عن أمرٍ هو إليهم ما يكون له ، إن شاءوا فعلوه ، وإن شاءوا لم يفعلوا.

وقوله ، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٢) ﴿^(٢)﴾ ، ولو كان الله ، عز وجل، خلق حركاتهم بالأصوات لم ينههم عن خلقه ، وإنما نهاهم .

عز وجل، عما يعلم أنهم يقدرّون على تركه ، والله ، عز وجل ، فلم يخلق حركات العباد، وهى الزنا الذى تحركوا له ، والقتل الذى تحركوا له . والشرك الذى تحركوا له، وحركوا فيه ألسنتهم وأيديهم ، وقالوه بأفواههم وأهوائهم ، كذلك جميع الظلم والفواحش التى تحركوا فيها جوارحهم وحواسهم ، وقد حظر الله ، عز وجل ، عليهم أن يستعملوا تلك الحركات إلا فى الطاعات ، والكف عن المحرمات .

فعضى^(٣) من عصى ، فوجبت له النار ، وأطاع من أطاع ، فوجبت له الجنة ، ليس جبراً ولا إكراهاً ولا خلق فعل .

والله ، عز وجل ، لم يخلق شيئاً من جميع أفعالهم ، ولو خلقها ، لكان شريكاً

(١) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ٢ .

(٣) فى الاصل : عصا

لهم، إذا كان لهم فى شئ من أفعالهم ، قل أو كثر ، شريكاً ، لم يكن إلهاً ، ولزمه من الجور والظلم ، والخروج من الحكمة والعدل ، فى عذاب من خلق فعله ، ما يلزم الجائرين .

ودليل ذلك أن نقول لك : هل يعذب الله ، عز وجل ، داود عليه السلام ، فى عمل الدروع ، التى قلت ، أو يعتب ذلك عليه ، وهل سمعته قال : لم فعلت ، ولم عملت الدروع !!؟ .. وإنما أخبره أنه علمه صنعة الدروع ، ولم يخبرنا أنه هو الذى خلق الدروع .

وكذلك آدم ، ﷺ ، لم يعذبه الله ، عز وجل ، فى حوكِ الثياب ، ولا الحرث ، ولا فيما عمل من الصناعات ، ولا قال لنوح ، ﷺ ، قول تعنيف فى عمل السفينة ، ولا عذبه على عملها ولا سمعته فى شئ من كتابه ، قال المؤمن ولا لكافر: لم عملتم الدروع ، ولم عملتم الأكنان فى الجبال ، ولم عملتم الآلات ، إلا أن يعملوها لباطل ، أو معصية لله ، وجل ثناؤه ، فهناك يقع التعنيف ، ويجب العذاب .

وإنما قال لهم ، عز وجل ، لم كذبتهم رسلى ، وأعرضتم عن كتبى ، وألحدتم فى صفتى ، وشبهتمونى بالجائرين ، وقتلتم أنبيائى ، والأئمة من خلفائى ، والمؤمنين من أصفيائى ، ولم كفرتم بى ، وعبدتم غيرى ، وخالفتم أمرى ونهى ..!!؟

فهذا يوجب أن ليس لاجل خلقه لما خلق ، يُعذبُ عباده ، إنما يُعذبُهم لما خلقوه هم ، وأتوه عامدين ، بأهوائهم وإرادتهم وحركاتهم .

فهذا جوابنا لك على دعواك فى خلق الكفر ، الذى زعمت أن الله ، عز وجل ، خلقه وأراده ، وهذا ما لا مخرج لك فيه ، لانا سألناك أن توجدنا شركاً وكفراً ١٦ ظ / وظلماً وفواحش مخلوقة منها . أخذ العباد (منها) (١) ما عملوا ، ومنها اكتسبوا ما به كفروا ، كما أوجدتنا الحديد والقطن والخشب ، والأشياء المخلوقة الموجودة ، التى احتججت بها علينا فى مسألتك هذه ، ولن تجمد شركاً ولا كفراً ولا فسقاً ولا فواحش ، أخذ منها العباد ما عملوا ، ولا منها ما اكتسبوا ما به أحدثوا!

(١) ليست فى الاصل .

فلا سبيل لك إلى وجود ذلك أبداً ، حتى تناول النجوم من أعنان السماء بكفكأ.. ولن يكون ذلك أبداً ، وفي هذا بطلان قولك ، ولزوم حجتنا لنا ، ووجوب النار عليك ، إلا أن ترجع ، وتتوب عما قلت أنت ، ومن تبعك ، والحمد لله رب العالمين .

نقض المجبرة في أن خلق الله ، غير خلق عباده في الكفر والإيمان :

وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، الذى خلق الكفر والإيمان ، على وجه غير ما خلقه العباد ، (فإن) العباد ، زعمت ، يزنون ويسرقون ، وهذا ، زعمت ، لا يجوز على الله .. ولا نعلم أحداً أجتراً على ما اجترات عليه ، من هذا القول الفاحش ، الذى استخرجته من عقلك ، فنقول لك : أيها المغرور ، الأعمى فى دينه ، والجاهل بربه ، فقل أيضاً : إنه قد يجوز أن يرى على غير وجه الحقيقة من المعاينة ، غير نظر الأعيان ، ويسمع ، على غير وجه من حقيقة السمع ، غير سمع الأذان ، وأنه شاهد الخليقة بالحواس من حقيقة المشاهدة والحس المحسوس ، الذى يعقل من غير حس ، ولا مشاهدة!.. وكل هذا لا يجوز ، كما استحال ما قلت .

وأخبرنا ما الفرق بين قولك هذا ، الذى ضاهيت فيه قول النسطورية (١) ، من النصارى ، وبين قولهم ، إذ زعمت النسطورية أن عيسى ، ﷺ ، ابن لله على معنى زعموا غير معنى الولادة!!

فنقول لك : هل يلزم النسطورية بهذا القول ، كفر أم لا ؟ ..

فإن قلت : إنه يلزمهم الكفر بهذا القول .

لزمك مثله ؛ لأنك زعمت أن الله ، عز وجل ، فعل الزنا والسرقة على وجه غير ما فعله العباد .. وأنه قلت : إنه لا يلزم النسطورية ، بهذا القول ، كفر .. خرجت من قول أهل الصلاة ، وفارقت أهل الإسلام .

(١) ليست فى الأصل .

(٢) النسطورية : فرقة من النصارى

وإن قلت : إنه يلزمهم بهذا القول الكفر^(١) .. لزمك مثله ، سواء ؛ لأنهم جاءوا بكلام محال ، وجذ بكلام محال مثله ، لا فرق بينهما في وجه من الوجوه ، وقد (قال) على بن الحسين^(٢) ، رحمة الله عليه : «ليست في محال القول حجة ، ولا في المسألة عنه جواب» .

فقد أعظمت الفرية ، بقولك هذا على خالقك ، فلا يبعد الله إلا من ظلم . ١١٧ و / وكيف لا يلزم خالق الزنا والسرقه وجميع المعاصي / عيب ما خلق ، وكيف لا يفسد قوله؟! .. فتبارك الله أحسن الخالقين .

فإن قلت : إنه لا يلزمه عيب ما خلق .. قلنا : وكذلك يلزمك أنه^(٣) يلحقه حمد ما خلق .

فإن قلت ذلك ، خرجت من الإسلام ، ومن قوله : ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾^(٤) ، وكيف ما قلت ، لزمك فيه الكلام ، حتى ترجع إلى الحق ، فتقول : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق شيئاً من جميع ما افترته عليه ، فنفلجك .

في حقيقة العقول :

ثم نسألك فنقول لك : هل العقول المركبة فينا ، تدلنا على غير الحق إنه حق ، وعلى غير الباطل أنه باطل؟! .

فإن قلت : نعم ، إن الأشياء تخالف العقول ، وإن العقول لا تميز الحسن من القبائح ، ولا الحق من الباطل .. خرجت من حد من يكلم ، وأكذبك جميع الخلق ؛ لأنه يلزمك . إن قلت بهذا . أن العقول لا تميز الليل من النهار ، ولا القحط من الإمطار . ولا الظلمة من الأنوار ، ولا السوام^(٥) من الأشجار . ولا غير ذلك مما تحوى الأقطار .

(١) كرر العبارة لتكرار اللزوم .

(٢) على بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسن ، الملقب بزَيْن العابدين ، واحد الأئمة الإثني عشر عند الإمامية ، واحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع والجمود والسخا ، ولد سنة ٣٨ هـ وتوفى سنة ٩٤ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان .

(٣) ليست في الأصل .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٥٣ .

(٥) أي الرعى منها .

وإن قلت : لا يجوز ذلك، أن تستحيل الأشياء في العقول، وتقلب على غير وجوهها^(١) حتى لا تميزها العقول ، لزمك أن الذي قلت باطل وكفر ، من أنه يخلق الزنا ، على معنى غير الزنا ، والسرقه ، على معنى غير السرقة، وفي هذا كفاية ، والحمد لله رب العالمين .

الفرق بين الأسماء الحسنی والقبیحة خلقاً :

ثم نقول لك : أليس تقر لنا أن لله^(٢) ، عز وجل ، الأسماء الحسنی ؟ ..

فإن قلت : نعم .. قلنا لك : أفليس افترض الله ، عز وجل ، ان تدعوه بأسمائه الحسنی حيث قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾^(٣) . . .

فإذا قلت : نعم .. قلنا لك : فهل يجوز لنا ولك ، أن ندعوا الله ، عز وجل ، فنقول له : ياخالق الكفر والشرك والزنا واللواط والأشعار والغناء ، وجميع المعاصی ، اغفر لنا !!؟ ..

فإن قلت : نعم ، ذلك جائز أن يدعا به .. قلنا : فما الفرق بين الأسماء الحسنی ، والأسماء القبیحة ، حتى نعرف بعضها من بعض ؟! ..

فإن قلت : إن هذه الأسماء التي ذكرنا حسنة جميلة ، لا عيب في الدعاء بها .. لزمك أن الزنا والشرك والكفر وجميع الفواحش والمعاصی ، كل ذلك ، حسن جميل لا عيب فيه ، ولا عيب على من دعا^(٤) الله ، عز وجل ، به ، وسماه خالقاً له .
وإن قلت : إن هذا الدعاء لا يليق بالله ، جل ثناؤه عما قلتم ، وأنه لا يجوز أن يدعا به ، لقبحه وشناعته ، وكذب من دعا به .

لزمك أن حجتك علينا فيه كاذبة باطلة فاضحة ، وأنت مبطل في قولك : إن الكفر والمعاصی كلها خلق الله ، عز وجل عما قلت ، وافتريت أنت ، ومن تبعك على مقالاتك . وكفى^(٥) بهذا كفراً ، وصدوداً عن القرآن ، أن يضاف الى الله ، جل ثناؤه ،

(١) في الأصل : ايضاً وجوها .

(٢) في الأصل : الله .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٨٠ .

(٤) في الأصل : دعى .

(٥) في الأصل : وكفا .

ما برئ منه ، وعنف فيه إبليس وجنوده ، وأوجب لهم على إتيانه، النار التي لا تطفى
١٧٧ظ / فبعداً للقوم الظالمين!! / .

وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، خلق الأسماء كلها . فالرد عليك أنا نقول لك :
أخبرنا عن اسم «محمد» ، صلى الله عليه ، هل هو المعنى ^(١) في خلق الله ، عز وجل ،
له ، ولما قالت قريش من تسميها ، النبي ﷺ ، أنه مُذَمَّمٌ !!؟ .

فإن الله ، عز وجل ، قد سمأه محمداً واحمداً وسمته قريش مُذَمَّماً . فقال ، صلى الله
عليه ، : «ألا ترون نصر الله لى على قريش، حين سمّونى . مذمماً ، وأنا محمد» ^(٢) .

فنقول لك : إذا كان الله ، عز وجل ، وهو الذى خلق اسم محمد ، وخلق اسم
مذم ، أى عيب على قريش فى قولها لمحمد ، عليه السلام ، أنه مذم ، كلاهما خلق
الله ، عز وجل !!؟ .

زعمتم - وجد المسلمون الله ، زعمتم ، قد سمأه محمداً ، فسّموه بذلك ، ووجد
المشركون الله ، عز وجل ، قد سمأه مذمماً فسّموه بذلك ، فماذا عليهم ، والله الخالق
للاسمين، والفاعل للقولين ، والمريد للمعنيين !!؟ .

فإنكم تنقطعون ها هنا ، ولا تجدون حجة تدفعوننا بها ، إلا أن تجسروا ، فتزعموا
أن الله ، عز وجل ، هو الذى سمي ^(٣) رسوله ، ﷺ ، مذمماً! ..

فيبين جهلكم وكفركم، لجميع من صلى القبلة ، وكفى بهذا ^(٤) جهلاً وخروجاً
من الحق .

* ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي ، ثم سلهم عن الأصنام من خلقها ، وجعلها
أصناماً؟ ..

(١) فى الأصل : المعنا .

(٢) الحديث : عن أبى هريرة ، رضي الله عنه ، فى : البخارى ، ٤ / ١٨٥ - ١٨٦ (كتاب المناقب ، باب ما جاء فى أسماء رسول الله
ﷺ) ، وأوله : «ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش . الحديث وهو . فى : النسائى (شرح السيوطى)
١٢٩ / ٦ ، ١٣٠ (كتاب الطلاق ، باب الإبانة والإفصاح ..) ، والمسند ، ١٣ / ٥٠ ط . دار المعارف .

(٣) فى الأصل : سما .

(٤) فى الأصل : وكفا بهذى .

الجواب قال أحمد بن يحيى - صلوات الله عليه - نحن نقول لك هل : خلقها أصناماً وأوثاناً وأنصاباً ، فسماها بذلك الاسم ، وكان ذلك الاسم يُدعى «بُدُدُ» وتعرف به قبل أن يعبدها من نحتها ، وجعلها صوراً من المشركين ، فى الزمان الأول ، وفى زمان مندان بن إسماعيل (١) ١١٩ .

فإن قلت : إن ذلك كان اسمُ الحجارة ، تعرفُ فى العرب ، قبل ابتداع من ابتدعها ، وعبادة من عبدها ، اكذبك جميع الخلق ، وشهدوا على بطلان قولك .

لأنها لم (تزل) (٢) تشاء تُعرفُ بأن اسمها حجارة ، وصخر وصفوان وصفا (٣) ، وغير ذلك من الأسماء ، فلما نحتها الكفار بأيديهم ، وصوَّروها بحركاتهم ، وسموها أصناماً وأوثاناً ، وسموها بالأسماء المحدثه منها اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، وإساف ونائلة ، ويغوث ويعوق ونسراً ، وغير ذلك ، وهى التى ذكرها الله ، عز وجل ، فى كتابه ، وعنفهم على اتخاذها وتسميتها ، مما دلَّ على براءته من خلق ما خلقوا فيها ، من التقدير والتصوير والخرط والنحت ، فقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ (٢٠) الْثَالِثَةَ الْآخِرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تَلْكَ إِذَا / قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) ﴾ (٤) .

كأنك ، يا لك الويل ، لم تسمع هذا القول فى كتاب الله قط ، ولم يخطر لك على بال ، حين زعمت أن الله ، عز وجل ، خلق الأصنام ، وذهبت بجهلك إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾ (٥) ، وإنما عنى بهذه الآية ، أنه خلق الحجارة وجميع الأشياء ، التى عملت منها الأصنام ، إذ لا خالق للأصل غيره ، وإنما وقع العيب والتعريف عليهم ، فى نحتها وتقديرها وتصويرها ، وعبادتها لا غير ذلك .

(١) يقال إن أول من أدخل عبادة الأصنام على العرب هو عمرو بن لحي بن غالب بن عمرو بن عامر .

(٢) زائدة فى الهامش .

(٣) الحجارة الملساء .

(٤) سورة النجم : الآيات ١٩ - ٢٣ .

(٥) سورة الصافات : الآية ٩٦ .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ (٢٤) مِمَّا خَطَبَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا ﴿ (١) . فلم عدوا لهم من دون الله أنصاراً ١٢ .. أفلا تسمع أيها المغرور إلى قوله ، عز وجل : ﴿ مِمَّا خَطَبَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا ﴾ (١) ، ولم يقل إنهم أدخلوا النار بخلقه لفعلهم ..

فسبحان الله العظيم ، ما أجهلك واجهل من أصغى (٢) إلى قولك ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (٢٢٧) ﴿ (١) ، ﴿ وَيَلْعَنُوا لِمَ أَتَيْنَاهُمْ عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ كَذِبًا يُفْسِحُكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَرَىٰ ﴾ (٦١) ﴿ (٢) ، فاسمع الى تفسير القرية ، فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى خلق القرية ، كما زعمت ، للزمه انه قد خاب ، عز وتعالى عن ذلك ، لقوله : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَرَىٰ ﴾ (٦١) ﴿ ؛ لان من خلق القرى فهو خائب ، ومن خلق الكذب فهو كاذب .

وكذلك قال ، عز وجل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿ (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ (١٠) ﴿ (١) ، فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى دساها ، للزمه انه شتم نفسه بنفسه ، وخيبها ، حيث قال : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ (١٥) ﴿ ، ولا تدسية أعظم من الكفرا ..

وقد زعمت أنه أراد منهم الكفر وخلقهُ ، وخلقهُ ، زعمت ، فعله وصنعه ، فيلزمك فى هذه الآية أنه دساهم بالكفر ، وأنه يلزمه أنه قد خاب من دساها ، وبالله لو لم يكن لنا فى القرآن غير هذه الآية ، لكانت كافية قاطعة لكل مجبر على وجه الأرض ، الا لعنة الله على الظالمين .

فى القدرة والشينة وتعلقها بالعلم ،

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن وجه ما وضعوا ، مما أخطوا فيه تأويل قدرة الله ، عز وجل .

-
- (١) سورة نوح الآيات ٢٣ - ٢٥ .
 - (٢) زيادة من الهامش .
 - (٣) فى الاصل : اصفا .
 - (٤) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .
 - (٥) سورة طه : آية ٦١ .
 - (٦) سورة الشمس : الآيات ٧ - ١٠ .

فإنهم عابوا علينا أن قلنا : إن كل شيء أخبرنا الله به أنه ، لا يكون أو يكون ، فإنه لا يجوز على الله ، عز وجل ، أن يقول إنه إن شاء كان على وجه إن شاء ، فإن ما يجهل وما لا يعلمه ، لإنا متى قلنا ذلك ، قلنا : لا ندرى لعل الله إن شاء قال ١١٨ ظ / الباطل .. تعالى الله ربنا وتبارك ، لقد حملنا أهل البدع على أن تكلمنا بكل قبيح ما / ما يدخل عليهم في كلامهم ، مع أن الله ، تبارك وتعالى ، قد وصفه بعض الكفار ، فقالوا : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾^(١) .

فوصف كذبكم ، ولولا ذلك ما وصفنا كذبهم ؛ لأن متى قلنا : إن القيامة إن شاء الله لم يقمها . قلنا : إن الله كذب ، وإن قلنا : إن الله إن شاء لم يفعل ، قلنا : إن شاء الله أخلف الميعاد ، ولا يجوز على الله هذا ، إلا أن يشاء أن يكون غير ما علم أنه يكون !.. ولا يشاء أن يخلف وعده ، ولا يشاء أن يتخذ الولد ، ولا يشاء أن يتخذ معه إلهاً ، تبارك وتعالى ، ولا يجوز على الله هذا الكلام في قول العدل ، إنما يشاء أن يكون ما علم أنه يكون ، ولا يشاء أن ينقص ملكه ، ولا يشاء أن يغير صفته ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

رد أحمد :

الحواب قال أحمد (بن) ^(٢) يحيى ، صلوات الله عليه : زعمت أنا وضعنا خطأ ، إخطانا فيه تأويل قدرة الله ، عز وجل ، منه أنه لا يكون أو يكون .

فإنه لا يجوز على الله ، عز وجل ، أن نقول : إنه إن شاء كان ، على وجه أنه إن شاء كان ما يجهل وما يعلم ! .

١- وقد فهمنا هذا القول من أوله إلى آخره ، فأجزأنا ذلك عن إعادة قولك ، لأنك إنما مدارك على الفرية على الله ، عز وجل ، وعلى إبطال كتابه ، وعلى إبطال أمره لخلقه بالإيمان ، والرجوع عن الخطأ ، والتوبة عن الكفر والظلم ، واجتهادك في دعاء

(١) سورة المائدة . الآية ٦٤ .

(٢) في الاصل : أحمد يحيى .

الكفار إلى أنه لا يعلم الله، عز وجل، منهم الكفر، وأن يدعوا الكفر والشرك، ويرجعوا إلى الإيمان والهدى والطاعة، وأنتك إنما تريد في قولك: إن من علم الله منه الكفر، أنه ليس له حيلة في الرجوع إلى الإيمان بوجه من الوجوه، زعمت، لأن ذلك العلم الذي علمه الله، عز وجل، عندك، هو الحائل بينهم وبين الإيمان!... زعمت.

حقيقة فهم الجبرة للعلم الإلهي:

* وهذا كفرٌ غلط فيهِ، وخالفت القرآن، وجهلت كيف العمل به، ولم يبلغه عقلك، وذلك أن المجبرة أنزلو العلم بمنزلة الشيء المانع الدافع لهم، الحائل بينهم وبين طاعة الله، عز وجل، فالتوبة عن خطاياهم^(١)، وتركهم قوله، جل ثناؤه، بعد ما علم أن القاسطين يكونون لجنهم خطباً.

فأخبر، تبارك وتعالى، أن علمه ليس هو المانع، ولا حائل دون الاستقامة على طريق الهدى، وأنهم إنما هلكوا وصاروا خطباً لجنهم، باختيارهم، واتباع أهوائهم، لا يعلمه، عز وجل، الذي قلت: إنه حال بينهم وبين الطاعة، فقال، ١٩٩ و/ جل ثناؤه: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ / فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لَنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾^(٢)، وقد أعلمناك، أن تأويل الفتنة في القرآن يُخرجُ على عشرة وجوه في كتاب الله، والله، عز وجل، لا يفتن المستقيمين ولا يضل المطيعين، لأنه، عز وجل، إنما أخبرنا أنهم لو استقاموا على الطريقة، لأحسن إليهم وأسكنهم جنته، ولم يخبرنا أنهم إن استقاموا فتنهم على جهة ما ذهبتم إليه من الإغواء. ألا ترى أنهم لو استقاموا على الطريقة، لم يعلم منهم الكفر، الذي صيّرهم به خطباً لجنهم، وأنهم لو أرادوا الهدى^(٣) لم يعلم الله، عز وجل، منهم الكفر، والشاهد على ذلك لنا أن الله، عز وجل، إنما افترض

(١) سورة الجن: الآيات ١٥ - ١٨.

(٢) في الاصل: الهدى.

على الخلق الخروج من الكفر ، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم ؛ ولو كان الامر (كما) ذهبت إليه عقولكم الصداة^(١) ، لم يجز للحكم العادل ، الذى لا يظلم، أن يقول : ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) ، ويقول : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(٤) .

وليس فى القرآن من أوله الى آخره ، آية واحدة تشهد لكم على أن علم الله ، عز وجل ، هو الذى منع الناس عن الإيمان ، وحال بينهم وبين الطاعة ، ولا حملهم على الكفر ، فإن وجدتم آية واحدة تشهد لكم بذلك ، فالقول قولكم .

أو وجدتم آية توجب أن الله ، عز وجل ، قال لاحد من خلقه الاولين أو الآخرين : ادخلوا النار بما علمت منكم ، وادخلوا الجنة بما علمت منكم . . . لانه ، جل وعز ، إنما يعاقب وثيب على الأعمال ، لا على علمه بالأعمال .

وقد أجبناك فى العلم ، فى أول كتابنا هذا ، بما فيه الكفاية ، إلا أنك تكرر مسائلك^(٥) فلا نجد بدأً من أن نكرر ما قد انقضى^(٦) فيه الجواب ، لئلا تتعلق علينا بحجة ، أو تقول قد تركوا بعض مسائلى .

هل يشاء الله أن يفعل ما لا يجوز؟

٢- وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، لو شاء لفعل ما لا يجوز فعله ، من أن لا تكون القيامة^(٧) ، وإن يتخذ الولد ، وأن يخلف الوعد ، وأن يبدل القول . . . فهذا كله قولكم أنتم ، وهو لازم لكم ، وليس أهل العدل والتوحيد يقولون هذا

(١) فى الاصل : الصداة .

(٢) سورة الانشقاق : الآية ٢٠ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٤) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٥) فى الاصل : مسالك .

(٦) فى الاصل : نقضا .

(٧) فى الاصل : القيمة .

القول، هم أعرف بتوحيد الله ، سبحانه ، وأقومُ بعدله من أن يقال لهم هذا القول، وينسب إليهم، بل هذه صفتكم أنتم ، وصفة إخوانكم الأشقياء المهجرة الجهلاء .

٣- وأما قولك : إن أهل البدع حملوك على أن تكلم بما لا تريدُ ، ونحن نقول ، على أهل البدع لعنة الله (و) لعنة اللاعنين ، وكيف يكون أهل البدع من قام بالقرآن، وعرف تأويله وتنزيله، ومحكمه ومتشابهه ، وأخذ الحق من معادنه، ١٩٩ اظ/الذين قال الله ، عز وجل ، ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣) ^(١) . وقوله : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٢)

ثم نقول : أنت أعرف بعدل الله أم موسى ، صلى الله عليه ١١٩ .

فإن قلت : إنك أعرف من موسى . كفرت .

وإن قلت : إن موسى ، صلى الله عليه ، أقوم بعدل الله منك ، وأعرف بدينه .

فما تقول في موسى ، صلى الله عليه ، لما قتل القبطى : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ (١٥) ^(٣) ، ولم يقل : هذا من قضاء الله ، عز وجل ، وإرادته .

يجبُ في هذا القول أنك أعلم من موسى ، ﷺ ، وأقوم بعدل الله ، عز وجل ، وكذلك قال الله ، عز وجل ، لمحمد ، صلى الله عليه : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اتَّخَذْتُ قِبَمًا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾ ^(٤) ، وقال يعقوب ، صلى الله عليه ، ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (١٨) ^(٥) ، أولا ترى أن الله ، عز وجل ، قد نفى عن الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، ما ألزمته وأن ليس واحد منهم أضاف ذنبه إلى خالفه ، كما أضفت .

(١) سورة النحل : الآية ٤٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٣) سورة القصص : الآية ١٥ .

(٤) سورة سبأ : الآية ٥٠ .

(٥) سورة يوسف : الآية ١٨ .

٤- وأما قولك أنا أخطأنا في صفة قدرة الله .. وليس القول كما قلت ، ولكننا نقول : إن الله عز وجل ، قد صدق في قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ وَتَوَّ شْنَا لَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾^(٢) ، وما أشبه هذه الآيات في القرآن .

فإن كان ذلك إنما دلنا به على إثبات قدرته ، وأنه لو شاء لحال بين الكفار وبين الكفر، حتى^(٣) لا يقدرّون على فعله بالجبر منه لهم والقهر ، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً ، أى جبراً وقسراً ولا يرسل إليهم الرسل ، ولا ينزل عليهم الكتب ، ولكن لم يكن ذلك من حكمته ، وإنما أخبرنا بقدرته على ذلك ، وأنه لا يفعل ، حتى يروا أنهم إنما فعلوا ما فعلوا من المعاصي ، عن غير غلبة له ، عز وجل ، ولا ضعفٍ كان منه عنهم .

فأما قوله : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾^(٤) فإن المجبرة يتعلّقون بهذه الآية ولا يقرأون ما بعدها ، وهو قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٥) .

فصح أنه بما كسبوا لا يفعل الله ، عز وجل ، ولا بإرادته لمعصيتهم ، مع أن هذه الآية إنما حكمها من أحكام الآخرة ، وليست من أحكام الدنيا ؛ ألا ترى كيف قال ، عز وجل ، وعنى أن المخاطبة في الآخرة لا في الدنيا : ﴿ وَلَوْ شْنَا لَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾^(٦) ، يعنى ممن عصى^(٧) في الدنيا وخالف أمره . ثم قال بعد هذا ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ .

١٢٠ و / فصح أنه في الآخرة / تكون هذه المخاطبة ، والعدل في الآية قائم بنفسه ، لا جبر فيه ولا قسر ، ولا مخرج للملحد مجبر ، والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة الانعام : الآية ١١٢ .

(٢) سورة السجدة : الآية ١٣ .

(٣) في الاصل : حيا .

(٤) في الاصل : يقرّون .

(٥) سورة السجدة : الآية ١٤ .

(٦) في الاصل : عصا .

٥- وأما قولك : إنه يلزمنا أنا نقول : إن الله ، عز وجل ، لو شاء لم يكن رباً ، وأنه لو شاء لظهر للناس ، وما قد ذهبت به في هذا الموضع من الخطأ والتخليط .

فأهل العدل أعلم بالله ، عز وجل ، وبتوحيده الذي أنت به جاهل ، فلن يقولوا مثل ما قلت . وإنما يجبُ عليك ، لو استعملت الأدب والحكمة ، أن تخاطبنا بما قلنا

فأما ما ليس هو من قولنا، فلم تكررهُ وتذكر فيه الكلام ، ولكن وجدتَ جهالاً لا يميزون عليك قولك ، وقلدوك أمر دينهم ، فاهلكتهم ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

وهيئات شرف الحق وعظم قدره ، وقدر أهله ، من أن تخطئه أيدي الباطل ، أو تفتاتوا على أهله بحجة .

فأربع على ظلمك ، وقس بشرك بمترك^(١) ، وأخرج مما قلنا ، وأفهم ما به أجبننا ، وأرع من استطعت من أهل المجر ، فإنكم لا تقومون بحجة واحدة من هذا الكتاب ، ولا تقدرين لها على دفع ولا نقض ، بحول الله وقوته .

وهذا قول مُدلُّ بفلجه ، لأن دين الله ، عز وجل ، لا تقوم له الجبال ، وما كان من الله ، عز وجل ، فلن يغلب أبداً ، وغيره دين الشيطان ، ودين الشيطان إلى البوار والدمار والدبار والخسران ، فلا يقوم الباطل للحق أبداً .

وسألت عن أم موسى ، صلى الله عليه ، وعن فرعون ، لعنة الله ، وقد أعدت هذه المسألة ، وقد مضى جوابنا لك في هذا الكتاب بما فيه الكفاية .

وذكرت الاستطاعة في قتل موسى ، صلى الله عليه ، وقد أجبنناك أيضاً في باب الاستطاعة بما فيه الكفاية ؛ وأوضح البرهان ، وما لا يقدر له أحد من المجر ، ولا غيرهم ، على نقض أبداً .

أدلة أخرى في الاستطاعة :

ونحن نقول لك في الاستطاعة أيضاً : أخبرنا هل افترض الله ، عز وجل ، على

(١) مثل جار ، معناه توبخ الخصم والخط من شانه .

الناس عندما بعث إليهم محمداً ، صلوات الله عليه وعلى آله ، أن يقولوا : لا إله إلا الله ، وأن يقرّوا أن محمداً رسول الله ؟! ..

فاذا قلت : نعم . قلنا لك . فاخبرنا هل افترض الله ، عز وجل ، عليهم من ذلك ، ما يقدرون عليه ويمكنهم ، أم ما لا يقدرون عليه ولا يمكنهم ؟

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افترض عليهم أمراً لا يقدرون عليه ولا يمكنهم^(١) .

لزمك أنه افترض عليهم ، ما لم يجعل لهم السبيل إليه ، ولا المقدره ، وأنه قد أبطل في قوله في كتابه ، ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ السَّبِيلَيْنِ (١٠) ﴾^(٢) ، أى عرّفناه طريق الخير والشر والحق والباطل ، ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا .. ﴾^(٣) . . فإى دلالة إلى سبيل أعظم من هذه الدلالة .

١٢٠ ظ / ويكفيك أيضاً قوله ، عز وجل : / ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(٤) ، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾^(٥) ، وإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افترض عليهم أمراً يقدرون على اتباعه وفعله ويمكنهم ، بطلت دعواك فى الاستطاعة أنها مع الفعل ، ولزمك أن الاستطاعة قبل الفعل ، ولولا ذلك لما افترض الله عليهم أمراً لا يقدرون عليه ، من قبل أن تقع استطاعتهم فيه مع فعلهم ، فيلزم أنه يكلف الفروض قبل وجود الاستطاعة .

وهذا ما لا يجوز فى عدل ، ولا حق ولا حكم ولا عقل ، وهذه وحدها تكفى من عقل .

(١) تكررت العبارة فى الاصل واظنه سهواً من الناسخ .

(٢) سورة البلد : الآيات ٨ - ١٠ .

(٣) سورة البلد : الآيات ١١ - ١٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٨٦

(٥) سورة الطلاق : الآية ٧

الاستطاعة مع الفعل عند المجررة :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلمهم : عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ [الْبَيْتِ] مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٧) ﴿ (١) .

فقل أخبروني : ما الحج عندكم ، اليس هو الطواف بالبيت ، والموقف في عرفات والمشعر ، وقضاء تلك المناسك بمكة وبمنى (٢) ١٩ ..

فإن قالوا: بلى (٣) . فقل أخبروني عن له مائة (٤) الف (٥) دينار ، وألف جمل ، وأشباه ذلك ، وهو صحيح ، يستطيع الحج ، وهو بالبصرة أو بخراسان ، أو ببلد من البلدان ناحية عن تلك المواقف والمشاهد ؟

فإن قالوا : نعم . فقل أفليس يستطيع الطواف بالبيت ، ووقوفاً في تلك المواقف ، وهو مقيم في بلدة ، لا يأتى مكة ، ولا يقربها ١٩ .. أفليس قد يستطيع الطواف بالبيت ، وهو مقيم ببلده (٦) ، ولم يذهب فيكون مقيماً بخراسان ١٩٩ ..

رد أحمد بن يحيى :

١- الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، زعمت أنه لا يكون حج الرجل ولا يستطيع أن يطوف بالبيت ، ولا يأتى جميع المناسك ، وهو في بلده ، وكذلك لا يجوز في غيره من أهل خراسان ولا العراق ولا مصر ، وغيره من البلدان .

تريد بذلك - أن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل ، وذلك خطأ منك ، وجهل بالاستطاعة كيف هي .. وقلت : هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة (أو غيرهم) ، أن يحجوا وهم في بلدانهم ١٩ ..

(١) في الأصل : ولا غيرهم .

(١) سورة آل عمران : الآية ٩٧ :

(٢) في الأصل : وبنا .

(٣) في الأصل : بلا .

(٤) في الأصل : مئة .

(٥) في الأصل : ألف .

(٦) العبارة مكررة في الأصل بداية من : لا يأتى مكة ..

ونحن نقول : إن الله ، جل ثناؤه ، لم يفرض الحج على من بالبصرة ولا على من بالكوفة ولا من غيرهم ، أن يحجوا وهم في بلدانهم ١ .

ولكننا نسالك : هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة ومن بخراسان ، أن يقوم الرجل منهم فيرمى ، بالحجارة إلى رأس نخلة ، (أو إلى) رأس جداره ، ويطوف ببيته أشواطاً ، ويحلق رأسه ويشرب (من) بثره التي في داره ، ويفعل ما أراد من مجئ أو ذهاب ، أو تكبير أو تهليل ، أو قول أو عمل أو ذبيحة ١٩ ..

فإن قلت : لا يقدر على ذلك أحد من أهل هذه البلدان التي سميت ، أكذبك جميع الناس؛ وخرجت من حد من تكلم . وبان جهلك .

وإن قلت : نعم ، هم يقدرون على ما ذكرتم ، هم وغيرهم من أهل البلدان .

١٢١ و/ قلنا لك : فتلك الاستطاعة التي هي مركبة في الأدمى بها يعمل / . جميع المناسك إذا صار إلى مكة .. فإن قلت : إن الاستطاعة منه لا تكون إلا مع فعله . لزمك لنا أنك قد أقرت أن الاستطاعة ، قد كانت موجودة فيه في بلده ، وإنما عليه المسير والمسافرة ، حتى يؤدي المناسك وفروض الحج بالاستطاعة ، التي أقرت أنها موجودة فيه ، قبل أن يخرج من بلده ، وقد قطعناك في الاستطاعة ، بما قد شرحاه في صدر كتابنا هذا ، بما كان فيه الكفاية ، غير أننا لا نجد بدأً كلما أعدت مسألة^(١) أن نعيد الجواب فيها .

هل يستطيع الإنسان الكفر والإيمان في وقت واحد؟

٢- وأما قولك لنا : هل يستطيع العباد الكفر والإيمان جميعاً؟ .. فجوابنا : إن هذا قول محال؛ لأنه لا يجوز أن يكون القائم قاعداً ، والقاعد قائماً في حالة واحدة .

ولكننا نقول : إن العباد يستطيعون أن يؤمنوا ويستطيعون أن لا يكفروا ، وإن دخلوا في الإيمان وقبلوه ، ودانوا به ، استطاعوا بعد ذلك الخروج منه ، إن أرادوا ، لأنك تعلم كيف حُكِّم الإسلام في المرتد ، وهذا أكبر دليل ، على أن المؤمن يقدر أن يرتد .

(١) في الأصل : مسأله

وكذلك إذا دخل العبادُ في الشرك واعتقدوه ، استطاعوا تركه والخروج منه إلى الإيمان ، وهذا مشاهدٌ معروف لا ينكره أحدٌ ، إن المؤمن إن شاء كفر ، وإن الكافر إذا شاء آمن ، وليس قولك : إن من علم الله ^(١) ، عز وجل ، منه الإيمان ، لا يستطيع الكفر ، ومن علم منه الكفر ، لا يستطيع الإيمان .. هذا القول الذي قلت لا يجوز ، لانه نفسُ الجبر ، الذي هو دينك ودين إخوانك ، وليس هو دين الله ، عز وجل ، والشاهدُ على بطلان دعواك ، قولُ الله ، عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (٦٤) ^(٢) ، وقوله في المنافقين : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٧٧) ^(٣) .

أفتراك ، ويحك ، ما تدبرت هذه الآيات قط ، ولا أفكرت فيها ، وإلى برهان عدل الله ، جل ثناؤه ، وبراءته من ذنوب الظالمين ! .. وكانك مارايت ولا سمعت بكافر أسلم ، ولا بمؤمن ارتد عن الإسلام ، ولم تسمع بحكم المرتد ولا بذكره في القرآن !!

ولا قوله ، عز وجل ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ ^(٤) ، فذكر ، عز وجل ، أنهم يرتدون باختيارهم ويؤمنون باختيارهم ، لا جبراً ولا قسراً .

٣- ومن الحججة في قولك : إن الله ، عز وجل ، خلق بعض الناس كافراً ، وبعضهم مؤمناً .. وهذا أعظم الفرية على الله ، جل ثناؤه ، وأوضحه رداً لكتابه .
فنقول لك عند ذلك : أخبرنا عن قول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ ، زِيَادَةٌ فِي

(١) مكررة في الاصل .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٣) سورة التوبة : الآيات ٧٥ - ٧٧ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

الكُفْر^(١) ، ما يريد بهذا القول ، وما هذه الزيادة التي ذكرناها مزبودة^(٢) ففى الكفر ، هل تلك الزيادة منه زادها فى الكفر ، أم هى من الكفار زادوها هم فى الكفر؟ ..

١٢١ ظ / فإن قلت : إن الله / عز وجل ، زادها فى الكفر .. قلنا لك : فأخبرنا عن خلقه لهذا الزيادة ، التي زادها فى الكفر ، زعمت ، بعد ما خلق الله الكفر ، عز الله عما قلت ، كيف هى ، وما صورتها ، وأين المقدار الذى بان لك منها ، فى الزيادة فى نفس الكفر ، وهل هى موجودة أو لا ١١٩ ..

فإن قلت : إنها موجودة محدودة ، من قبل زيادتها فى الكفر ، لزمك أن تعرفنا بها ، حتى نعرفها ، كما عرفتُها بعينها وحدودها ..!

- وإن قلت : إنها ما زاد الكفار فى الشهود وما أحدثوا ، لزمك أنها فعل الكفار ، لا فعل الله ، عز وجل ، إذ لم تأت على تلك الزيادة ببينة ولا حجة ، ولا جسم يحس ، وأنهم هم زادوها فى كفرهم ، أى أحدثوا إلى الكفر كفراً ، وذلك هو الحق .

- وإن قلت : إنها فعل الله ، عز وجل ، وخلقها ، لزمك أن ليس لله ، جل ثناؤه ، بين السموات والارض إلا فعل يُدرك ويُحس ، ويعرف بعينه وحدوده ، ويبين بنفسه عن فعل بنى آدم ١١٩ .

- وإن قلت : أنه لا يدرك ولا يُحس ولا يُعرف . لزمك أنه بصفة الواحد الذى ليس كمثلته شئ ، ولا يقع عليه الحواس! ...

لأن الله ، عز وجل ، أخبر نبيه ، صلى الله عليه ، عما أحدثت بنو كنانة^(٣) من مدركة فى الشهور ، حتى كانوا يرون الحج عاماً فى ذى الحجة ، وعماماً فى المحرم .

فقال الله ، عز وجل ، يخبر نبيه ، صلى الله عليه ، إن ذلك فعلهم لا فعله ؛ فقال :

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) هكذا فى الأصل ، والصواب مزبودة .

(٣) كنانة : قبيلة عربية

﴿ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾^(١)، فلو كان هذا فعله ما عتفهم عليه، ولا عجبَ نبيه، صلى الله عليه، عنهم، ولا أضاف ذلك الفعل إليهم ١١.

فيلزمه أنه قد دخل فيما عاب؛ لقوله، عز وجل، : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾^(٢).

فصح وثبت أن الشيء الزائد في الكفر، هو فعلهم الذي زادوه في الكفر، لأن الكافر يمكنه الزيادة في ظلمه وفجوره وكفره، كما يمكن المؤمن الزيادة في إيمانه، لما يكسب من الخيرات والمساورة في طلب الدرجات، وذلك كله فعل العباد لا فعل الله، عز وجل، وقد وجدنا العرب قد أقرت بذلك الذي زادت من النسئ، وتشرفت به، وفخرت بفعله، على غيرها من العرب في الجاهلية، وانتم أيها المهجرة تعذرونهم، وتلزموننا لله، عز وجل، فعلهم، وهم يفتخرون بذلك، ويضيفون فعلهم إلى أنفسهم لا إلى خالقهم.

قال شاعرهم :

أليس النسئُ سنتنا عليكم بدعنا، ونحن المبدعون

جعلنا الحج في وقتين لما ملكنا الناس طراً خاضعينا

أفلا تراه كيف أضاف فعل النسئ إليهم، أنهم هم أبدعوه وسنوه للناس، وأن الله، عز وجل، لم يسنّه، ولم يبدعه، وأنه، جل ثناؤه، برئ منه.

وقال الكميت بن زيد الأسدي^(٣)، رحمه الله، في الإسلام، يذكر النسئ ما كان من فعل عمر بن يحيى الكنانى.

١٢٢ و/ ونحن الناسئون على معد شهرهم الحرام إلى الحليل^(٤)

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٢ .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) ذكر البيت أبو علي القالى في أماليه ولم ينسبه لاحد ٤/١ وهو من بحر الوافر .

أفلا تراه يذكر أنهم هم الذين فعلوا النسئ ، وأن الله ، عز وجل ، لم يفعله وأنه ، تبارك وتعالى ، قد أوضح في كتابه أنه برئ من النسئ ، وأنهم هم الذين أبدعوه ، ولذلك حرّمه وأبطله وعاب على فاعله وذمّه ، وأمر نبيه ، صلى الله عليه ، بالحج المستقيم ، والحق الذى هو خلاف النسئ وأنت تزعم أن الله ، عز وجل ، أراد كفر الكفار ، وخلقه وقضاه ..! عز الله وجل عما قلت وعلا علواً كبيراً .

ألا تسمع إليه كيف يقول - عز وجل - ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾^(١) ، أفلا تسمعه ، عز وجل ، يخبر بمضاداتهم له ، مخالفتهم إرادته .
 أهذا قول من فعل فعلهم ، أو قول من قدره عليهم ..!؟

سبحان الله العظيم ، ما أعظم ما قلتم ، وأبين جهلكم وفريتكم عليه ، عز الله ، عز وجل ، عن ذلك وعلا علواً كبيراً .

ثم قال ، جل ثناؤه : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾^(٢) ، أهذا قول من جعلهم كفاراً ، ثم قال عز وجل : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾^(٣) ، فهل رأيت حكيماً قط فعل فعلاً ، وهو لا يريد ذلك الفعل ..!؟

كانك لم تسمعه ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾^(٤) ، أفلا ترى أيها الهالك فى دينه المفترى على ربه ، أن الفريقين جميعاً هما اللذان^(٥) اتبعا ما أرادا وما اختارا لأنفسهما ، وحكى الله عنهما ، ولم يقل فى نفسه ، جل ثناؤه ، أنه جعلهما على تلك المنزلتين ، ولا قدر عليهما تلك الحاليتين ، إلا الامر والنهى ..!؟ قدوس قدوس رب الملائكة والروح .

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .
 (٢) سورة النساء : الآية ١٤٧ .
 (٣) سورة النساء : الآية ١٤٨ .
 (٤) سورة محمد : الآية ٣ .
 (٥) فى الاصل : الذان .

ونحن نسألك فنقول : أخبرنا عن رجل سرق من صندوق رجل مائة^(١) دينار ، فلما صار بها فى بعض الطريق ، سقط منها خمسون ديناراً ، فلما أصبح ظفربه وأخذه ، فقال الرجل له : أين الدنانير ؟ ..

مثل للإيضاح :

قال : ضاعت منى ، ولم يبق معى إلا هذه الخمسون الباقية ، فجاء به الرجل الى قاضيكم ، فاستعدى عليه ، وطالبه بالمائة دينار كلها . فقال الرجل السارق : الله ، عز وجل ، هو الذى قضى^(٢) على بسرقة هذه الدنانير ، وهو الذى أذهب نصفها ، وهو الذى ترك معى نصفها وليس على لوم ! .

فنقول لك : ما قولك فيما يقول قاضيكم فى هذا الحكم ، هل يلزم الرجل السارق المائة كلها ، أو يقبل منه الخمسين ، ويسقط عنه غرامة الخمسين الأخرى ؟ ..

فإن قلت : يقبل منه . لزمك أن قاضيكم أعدل ، عندكم ، حكماً من الله ، عز وجل ، الذى ألزم السارق المائة دينار كلها ، ولزمكم أن قاضيكم قد حكم . بخلاف حكم النبى ، صلى الله عليه ، وبخلاف أحكام قضاة الإسلام ، مع ما يلزمك فى قطع يده ، وفريتك على ربك ، وإلزامك ، له سرقة السارق ، وأنه خلق فعله ، وقضاه وقدره وأراده ، ثم أمر بقطع يده ! .

وهكذا أخبرنا ، عز وجل ، عن عمل الشيطان بالانسان ، حيث يقول : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) ﴿^(٣) ، فوصفتم الله ، عز وجل ، فى الجور والظلم لعباده ، بصفة الشيطان وما يفعل بحزبه الكافرين !! .. سبحانه الله العظيم العلى عن قولكم .

وإن قلت : إن القاضى لا يسمع دعواه ، ولا ينظر فى حجته ، فإنه يغرّمه الخمسين التى ضاعت منه ، ولم يقبل^(٤) قوله : إن الله ، عز وجل ، هو الذى قضى عليه سرقة المائة الدينار .

(١) فى الاصل : مئة .

(٢) فى الاصل : قضا .

(٣) سورة الحشر : آية ١٦ ، أخطأ المؤلف فى ذكرها .

(٤) فى الاصل : ولم يقبل .

قلنا لك : فكيف يجوز أنه يغرمه وحده المائة الدينار ، وقد صح أنه معه أخذاً آخر أعانه على أخذ الدينار ، وقدره على سرقة ، ولم يخل فعله الذي شايعه وقدره عليه ، وأراد منه ما صنع وهو الفاعل لفعله ، والخالق لتلك السرقة والمريد لها؟! .

فكيف يلزمه قاضيكم المائة الدينار كلها ، وقد صح له أنه معه غيره ؟ . . . والواجب عليه في العدل أن يغرمه نصفها ، ويغرم الذي صح عنده أنه غير بريء من فعل هذا السارق نصفها الآخر ؛ لأن هذا هو العدل . فاختر أي ذلك شئت ! .

فأيهما ما قلت به سقطت دعواك ، وبطلت حجتك ، والحمد لله رب العالمين .

الاحتجاج بآية البغاء على عدل الله :

وقد قال الله ، عز وجل ، ما يشهد للعدل ، وظهور حجتنا على حجتكم ، قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تُكْرَهُوا بَغْيًاكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتَلُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ السُّدْنِيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٢) (١) .

فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذي أراد منهن الفجور ، وقضاه عليهن ، وخلقه من فعلهن ، ما نهاهم عن إكراههن على الفجور . . . وكيف ينهاهم عن إكراههن على شيء أراده وقدره وخلقه ؟ . . .

سبحانه الله العلي العظيم ، ما أشنع هذا القول ، وأفسد حجة من ادعاه .

وأما قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٢) ، فقد جاء في التأويل ، إن ذلك يخرج على وجهين :

١- أما أحدهما : فإنه ، عز وجل ، يقول : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٢) ، لمن كف عن إكراههن وتاب ، فإنه يغفر له ما قد مضى من إكراههن ، إذا صحت توبته .

٢- والوجه الآخر : فقوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٢) ، يعنى بهن

(١) سورة النور : الآية ٣٢ .

إذا حملوهن من الإكراه على الفجور على ما لأيردن، والاول أحب الوجهين
إلينا ، والحمد لله رب العالمين .

مقالة العباد بين الحقيقة والافتراء :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم هل كلفكم الله ، تعالى ، أن تعلموا أنكم
١٢٣ و / مخلوقون ، وتعلموا أن الله خلقكم ونهاكم أن تروا أنكم خالقون ، أو ترون
أن الله مخلوق ؟ .. /

فان قالوا : نعم . فقل : هل تقدرتون على أن تروا أن الله مخلوق ، وأنكم
خالقون ؟ .. فإن قالوا : نعم^(١) ..

فقل : أفليس تقدرتون ، وتستطيعون أن تروا أنكم خلقتم السموات والأرضين ، وما
فيهن ، وتقدرتون وتستطيعون أن تروا ربكم دابة من الدواب وأنه مخلوق ؟ ..
فان قالوا : نعم . فقد أعطوك أنهم يقدرتون على ذلك ، فما تريد منهم بعد
هذا ؟ ..

وأى فرية أعظم من هذه الفرية ، من أن يقول عبدٌ : "إني أقدر وأستطيع وأرى أنى
خلقت كل شئ" .. حتى يكون ذلك مبلغهم من العلم ، وأرى أن خالقي دابة أو
شجرة ، وأنى خلقته وصنعتة !!

رد أحمد بن يحيى ، هناك فرق بين قول الحقيقة وادعائها :

الجواب قال أحمد بن يحيى : صلوات الله عليهما ، جل الله وعز وجل وتقدس عما
قلت ، وإليه من الفرية أضفت ، فقد فهمنا ما ذكرت وقلت ، ولسنا نقول ما قلت من
القول الشنيع . فاسمع جواب مسألتك هذه ، واصغ إليها ، فإنك قد أهلكت أتباعك
وأفسدت عليهم دينهم ، فلا يُبعد الله إلا من ظلم .

ونحن نقول فيها : إن الخلق كلهم يقدرتون ويستطيعون ، أن يقولوا فى الله ، عز
وجل ، من القول القبيح ، والصفة الفاحشة الشيعة ما ذكرت ، لان ذلك يمكنهم

(١) من هدنا وليست فى الاصل .

ويستطيعونه ، كما استطعتموه من إزامكم له شرك المشركين ، وكفر الكافرين ، وخلق زنا الزناة ، وسرقة السراق ، وغير ذلك من جميع المعاصي ، فالخلق يقدر على أن يقولوه قولاً بالسنتهم وأهوائهم ، إن أحبوا ذلك ، لم يحل بينه وبينهم حائل ، لما كان الأمر من الله ، سبحانه ، تخييراً لا جبراً ، فافهم هذا القول .

وأما أن يقدرُوا ويستطيعوا أن يروا في أنفسهم ، بالحقيقة ، أنهم خلقوا السموات والأرضين ، وأنهم خلقوا الأشياء التي ذكرت ، وأن صانعهم دابة وشجرة ، زعمت ، هذا مالا يجوز ولا تقبله العقول ، لأن عقولهم المركبة فيهم ، لا تدلهم أبداً على أن يدعوا فعل ما لم يفعلوا إذا تركوا المكابرة ، لأنه صحيح في عقولهم ، وعند أنفسهم بالحقيقة ، أنهم لم يفعلوا إلا ما فعلوه ، فافهم هذا الباب .

ولكنهم يقدرُون أن يقولوا أنهم خلقوا السموات والأرض قولاً بالسنتهم ، وهم يعلمون عند الصدق لعقولهم ، أنهم قد كذبوا وقالوا الباطل للحقيقة المتقررة في أنفسهم ، أنهم يعجزون عن جميع ما ذكرت . فليس أحد يرى في نفسه إذا صدقها ، أنه فعل أمراً لم يفعله .

فأما القول باللسان ، فهو يمكنهم ، كما أمكنك أن قلت على الله عز وجل ، الفرية والكذب .. واحتججت على أهل العدل بخلاف ما في كتابه ، أما خلق الأفك فذلك جائز أن يفعله أهل الإفك ويخلقوه ، وخلقهم له هو فعلهم ، وذلك جائز في اللغة العربية أن يسموا صنعم خلقاً ، وكلُّ صانع لشيء فهو خالق له ، ولذلك لم يجزُ على الله . عز وجل ، ٢٣ / ظ / خلق غيره ولا صنع غيره ، قال الكميت بن زيد :

أرادو أن تبديل خالقات أديهم بعس ويعتدينا^(١) .

والخالقات عند العرب النساءُ الدابغات للآدم ، وهن الفاريات للآدم أيضاً .

وقال زهير بن أبي سلمى^(٢) يمدحُ هرم بن سنان بن أبي حارثة الغطفاني

(١) البيت : لم أجده في ديوان الكميت : وهو من بحر الوافر .

(٢) زهير بن أبي سلمى : زهير بن أبي سلمى بن ربيعة المزني ، من مضر : حكيم الشعراء في الجاهلية ، له أخت شاعرة ، وولده كعب وبجير شاعرين ، عرف عنه تنقيح الشعر حتى صارت له قصائد تسمى الحوليات ، وأشهر شعره «أمن أم أو في دنة لم تكلم» .. طبع ديوانه عدة مرات ، وتوفي سنة ١٣ ق .هـ . انظر ترجمته في الزركلي : الأعلام ٥٢/٢ ، وكذلك الأغاني ٢٨٨/١٠ - ٣٢٤ .

وأراك تَفْرى ما خلقتَ وبعضُ القومِ يخلقُ ثمَّ لا يَفْرى ^(١)

فهذا الشاهد من لغة العرب ، والذي قلت فامر لا يجوز أن يرى العباد أنهم خلقوا ما لم يخلقوا ، لأن هذا أمر مستحيل ، وإذا استحالت الأشياء فى عقول الخلق ، كما وصفت ، سقطت عنهم الحجة ، لما دخل فى العقول من الفساد .

فأما أن يقولوا قولاً بالكابرة والظلم واتباع الهوى ، وهم يعلمون عند أنفسهم غيره ، فذلك الصحيح فى عقولهم ، فهذا ما لا يجوز غيره . فافهم ما قلنا ، فإن الحق لا يشوبه الباطل .

هل يحول علم الله بين الإنسان والإيمان والطاعة :

ومن الحجة لنا عليك فى أن العباد يستطيعون ، ويقدرّون أن لا يعلم الله ، عز وجل ، منهم الكفرو ولا الشرك ولا شيئاً من جميع الظلم .

قوله لنبيه ، صلى الله عليه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ^(٢) ، فنقول لك : أخبرنا عن هذه الآية أهى على الحقيقة من قول الله ، عز وجل ، أنه أرسل رسوله إلى الناس جميعاً ، أم هى آية يجوز تأويلها عندكم ، أنها إلى بعض الناس دون بعض ؟ .

فإن قلت : نعم ، إنه يجوز أن يكون تأويلها إلى بعض الناس ، دون بعض .. أكذبتك جميع أهل القبلة من الفرق كلها ، وأكذبتك الله ، عز وجل ، بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ ^(٣) ، والكافة فى لغة العرب هى العامة لكل ، لا خصوص فيها .

ثم نقول لك : أخبرنا هل أراد رسول الله ، صلى الله عليه ، من الخلق كلهم أن يجيبوا دعوته ، ويدخلوا فى الإسلام ، حتى لا يتخلف منهم أحد ، أم لم يرد ذلك ؟ وهل أمره الله ، عز وجل ، بدعاء الجميع ، أم لم يأمره إلا بدعاء البعض ؟ .

(١) والبيت فى ديوانه ، ص ٩٤ ، وجمهرة أشعار العرب القرشى ٢ / ٢٤٠ . وفى اللسان ١١ / ٣٧٥ ، وجاء على هذا النحو :

ولأنت تَفْرى ما خلقتَ وبعضُ القومِ يخلقُ ثمَّ لا يَفْرى .

(٢) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٣) سورة سبا : الآية ٢٨ .

فان قلت : إن الله ، عز وجل ، أمره بدعاء البعض دون البعض ، كان هذا هو الكفر،
والرد للقرآن صراحاً .

وإن قلت : إن الله ، جل ثناؤه، قد أمر بدعاء الناس جميعاً إلى الاسلام على ما نجاه
منصوصاً فى القرآن ، وأراد ذلك منهم رسول الله ، صلى الله عليه ، لزمك أن الله ، عز
وجل ، أراد ذلك منهم (و) رسول الله صلى الله عليه .. (و) لزمك أن الله ، عز وجل ،
أراد إسلامهم كلهم ، وبطل قولك وسقطت حججتك ، أن ، زعمت ، أراد منهم
الكفر، لعلمه أنهم لا يؤمنون! ..

ولو كان ما قلت حقاً ، لم يقل لهم رسول الله ، صلى الله عليه ، عن الله ، جل
ثناؤه : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾^(١) ، ولم يُقم الرسول ، صلى الله عليه ، على
كلهم الحجة، وقد علم أن منهم من لا يؤمن ، وأن الله ، عز وجل ، قد علم أن منهم
من لا يؤمن ، فقد صح أن العلم ليس هو الذى منهم، ولا حال بينهم وبين الطاعة ، وفى أقل
من هذا كفاية لقوم يعقلون ، والحمد لله رب العالمين .

١٢٤ و / ومن الحجة عليكم أيها المجرة فى قولكم / إن الله ، تبارك وتعالى ، خلق الكفر
والشرك والزنا واللواط ، وقتل الأنبياء وأئمة الهدى ، وقطع الطرق وجميع الفواحش
والكذب .

أن نقول لكم : أخبرونا كيف جوابكم للزنادقة واليهود والنصارى ، إذا سألوكم
فقالوا لكم : نحن نجد فى كتابكم ، وتحتجون علينا ، أن ربكم قال لنبيكم : ﴿ هَلْ
مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾^(٢) ؟ .. يخبر أنه لا خالق معه ، يخلق ما خلق ، وأنه هو الذى
خلق ، وأنه لا خالق معه يخترع الأشياء ، ويقدر على الأشياء ، أليس هذا هو خالق
عندكم وفى كتابكم ١٩ .. فلا بد لكم من نعم .

فإذا قلت ذلك ؛ قالوا لكم : فأخبرونا الآن عن قوله ، يضيف إلى عباده :
﴿ وَتَخْلُقُونَ إِنْكَاءً ﴾^(٣) ، نجد هذا فى كتابكم .. أفليس هذا القول قد دلَّ على أن ثم
خالقاً آخر غيره ، يخلق الإفك ١٩ ؟

(١) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٣ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

هذا نجده في قرآنكم ، الذي تدعون أنه من عند حكيم عادل ، حيث يقول : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢) ^(١) ، هذا ، زعمتم ، في قرآنكم ، فلا بُدُّ لكم أن تحببوهم بنعم /

فيقول لكم السائل عند ذلك : فأيُّ اختلاف يكون أعظم من هذا الاختلاف ، وأي مناقضة ... ١١٩ .

ثم قال يعنف قوماً ، فقال لهم : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَ ﴾ ، فلا بد لكم ، إنكم قد لزمتمكم المناقضة والاختلاف ؛ لان هذا بين واضح في القرآن ، لاحيلة لكم في دفعه ولا رده . فإن قلتهم لهم : كلُّه خلق الله ، عز وجل ، وفعله هو خلق الإفك ، وغيره مما خلق الله ، مثل السموات والأرض والشمس والقمر وغير ذلك ، لزمكم أن قوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقِ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ ، ينقض قوله : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَ ﴾ . . . ١ . ويفلجكم خصماؤكم من اليهود ومن النصراري والزنادقة وجميع ، من خالفكم ، لا بدُّ لكم أن تخلصوا منهم بحجة ، فإن جسرتهم على أن تقولوا : إن الله خلق الإفك ، وغيره من جميع الظلم ، لزمكم في ذلك خصلتان فاضحتان .

١- أما واحدة : فيجب عليكم أن القرآن يختلف ويتناقض .

٢- والخصلة الأخرى : فيلزمكم أنكم جعلتم خالفكم في عداد الكذابين ، الذين يفعلون الإفك ويلزمونه غيرهم ، ممن لم يفعله .

فلا يزال الكلام يُكرَّرُ عليكم أبدأ ، ويدخل عليكم في التوحيد وحكمة الحكيم وعدل العادل ، الفساد والوهن ، والخلل الذي لا بعده من العيب أبدأ ، حتى ترجعوا عن قولكم ، وإلا بان كفركم ، فتقررروا أن الذين خلقوا الإفك هم العباد ، الذين لاطاقة لهم بخلق شيء من جميع الأشياء ، (إلا) الإفك والمعاصي ، وما أتوه من العدوان ، الذي اختاروه ، وأنهم لا يقدرون على خلق شيء ، غير المعاصي التي من فعلهم ، ولما أرادوا خلق خردلة ما قدروا عليها ١٩ . . لان ذلك ليس في قوتهم ، وخلق الإفك وجميع المعاصي في قوتهم ، وهم في ذلك مخيرون تخبيراً .

فإما أن يقدروا على خلق شيء غير ذلك ، فيخرجوه من بعده إلى (العجز) ^(١)

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٢) مكان هذه الكلمة بهاض في الاصل .

١٢٤ظ / فلا سبيل لهم إليه ، والدليل على / ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ (١) .

وإن الله ، جل ثناؤه ، هو الخالق القوي القادر ، الذى يخلق الاشياء فيحدثها ، ويخرجها من العدم إلى الوجود ، فذلك الاختراع والابتداع ، لما لم يكن شيئاً موجوداً ، هو الخلق الذى خلقه الله ، عز وجل ، لا خالق له معه ، ولا مشارك له فيه ، ولا صانع له معه .

وأما اكتساب بنى آدم ، فذلك خلقهم الذى هو حركاتهم المتولدة من قواهم ، وقواهم هى الاستطاعة المركبة فيهم التى يسألون عنها ، ولا يعاقبون عليها ولا عيب فيها ؛ لأن ذلك فعله ، جل ثناؤه ، الذى قال فيه : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢٣) (٢) ، وإنما عاب عليهم ، وعاقبهم ولزمتهم له الحجة فى الحركات التى اكتسبوا بها المعاصى ، واختاروا ذلك الاكتساب باتباع الهوى ، والأثرة لعلها جل الدنيا .

(١) سورة الحج : الآيات ٧٣ - ٧٤ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٣ .